مَا لَم تُحِظ بِهِ خُبْرَا

(مقالات في الفكر والثقافة ربما تستحق الصبر عليها)

د. محمد جاد الزغبى

حواديت
Hawadeet

تصميم: أحمد الضبع

مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا

(مقالات في الفكر والثقافة ربما تستحق الصبر عليها)

د. محمد جاد الزغبي

ما لم تحط به خبرا

الكاتب: محمد جاد الزغبي

الغلاف: أحمد الضبع

الإخراج الفني : أمل رضوان

طبعة اليكترونية
حقوق النشر محفوظة للمؤلف

دار حواديت للنشر والتوزيع

المنوفية ـ جنزور ـ بركة السبع

hawadeet@gmail.com

طبعة بي دي إف للتوزيع الحر

الإهـــــــداء

إلى أبي الحبيب ... رَحمهُ الله

تقديرًا ووفاءً لعطاء لم ينته، وفكرا موصولا ينبض ولا ينضب.

وإلى الصديق العزيز الفنان المبدع / أحمد الضبع

عرفانـا وتقديـرا لأعمالـه الإبداعيـة الـتي تعـطي الصـورة الحيـة لمـا يكتبـه المبدعـون.

المؤلف

مقـــــــدمة

هـذه المجموعـة مـن المقـالات والخواطـر تحـت هـذا العنـوان

(مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا)

هي مجموعـة مقـالات تمـت كتابتهـا في ظـروف مختلفـة، معظمهـا في فتـرة انتشـار عـدوى فيـروس (كورونـا)، وظـروف الحظـر الـذي ضـج بـه الكثيـر مـن النـاس، مـع الخـوف والهلـع وعـدم إدراك مـا يحـدث بالضبـط.

وفى المقـالات نحـاول أن أفهـم لغـزا كبيـرا مـن أكبـر الألغـاز الـتي أحاطـت بنـا ...

وهـو لغـز (انعـدام الصبـر)، وانتشـار الهلـع، ومـا يصاحـب الخـوف مـن انحسـار للعقـول بطبيعـة الحـال

وتذكـرت مـا ورد في قصـة سـيدنا (مـوسي والخضـر) عليهمـا السـلام، جـاء مـوسي عليـه السـلام إلى العبـد الصالـح يطلـب منـه أن يعلمـه ممـا أتـاه الله ...

فـكان الـرد الأول مـن الخضـر بالرفـض وبـرر رفضـه بـأن مـوسي لـن يسـتطيع الصبـر،

[قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا]

{الكهف:67}

بـل وقـدم العـذر لمـوسى عليـه السـلام وهـو أنـه مـن الطبيـعي ألا يصبـر الإنسـان عـلى مـا لا يفهمـه فقـال :

[وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا]

{الكهف:68}

فالإنسـان بطبيعتـه عنـد مواجهـة المجهـول إمـا أنـه يشـعر بالخـوف

وينعـدم تفكيـره المنطـقي، وإمـا أن يفقـد فضيلـة الصبـر ويـيـأس مـن محاولـة الفهـم

ومنـذ فترة قريبـة صادفـت خبـرا عـن واحـدة مـن المنظمـات العالميـة الـتي تهتـم بالدفـاع والحمايـة للحيوانـات المهـددة بالانقـراض وكان الخبـر يقـول بـأن إحـدى بعثـات العلمـاء في إفريقيـا لجـأت إلى دخـول الغابـات وتخديـر مـا تصادفـه مـن (الفيلـة) ونـزع أنيابهـا العاجيـة وتركهـا هكـذا حـتى يمكنهـم مكافحـة ظاهـرة الصيـد الجائـر للفيلـة مـن الصيادين المحترفيـن الذيـن يقتلـون الفيلـة كي يحصلـوا عـلى العـاج الثميـن، لذلـك نـزع العلمـاء أنيابهـا حـتى لا يجـد الصيـادون مبـررا لقتـل الفيلـة

ولنا أن نتخيل :

مـاذا لـو أن الفيلـة الـتي نـزع العلمـاء أنيابهـا امتلكـت الإرادة والعقـل وأمكنهـا الـكلام، وجاءهـا الصيـادون كي يحكـوا لهـم مـاذا فعـل بهـم هـؤلاء العلمـاء ولكـن دون أن يخبروهـم بالسـبب!

بطبيعـة الحـال مـن المسـتحيل أن تقتنـع الفيلـة بـأن هـؤلاء الصيادين هـم الذيـن يقفـون في جانـب الشـر ويضمـرون قتـل الفيلـة، وأن هـؤلاء العلمـاء ــ رغـم مـا فعلـوه ــ إلا أنهـم في جانـب الخيـر ومـا فعلـوه مـن شـر ظاهـر كان في صالـح الفيلـة حتمـا!

ولا شـك أننـا نعيـش عـلى الأرض بمحدوديـة عقـل الفيلـة الذيـن لا يمكنهـم إدراك طبيعـة الأحـداث الـتي لا تقـع وهي شـر ظاهـر لا خيـر فيـه وطبيـعي ألا نـدرك لأن حـل اللغـز يكمـن في قـول الخضـر عليـه السـلام :

[وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا]

{الكهف:68}

لذلـك فإن هـذه المقـالات هي محاولـة لتصحيـح أو فهـم مفاهيـم انهـارت في عصرنـا الحـالي لأسـباب متعـددة، ومحاولـة أيضـا لفهـم حكمـة الابتـلاء الـتي قـد تكـون فرصـة للفـوز والصـلاح لا فرصـة للهـلاك.

ونسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علم

تجربة شجرة الصفصاف

*****

هناك تجربة طريفة جدا ومؤثرة في الكيمياء الحيوية ذكرني بها أحد البرامج في يوتيوب، وهذه التجربة تعطينا دلالة هامة جدا في مجال آخر وهو مجال التقدم والتخلف الحضاري للشعوب

التجربة كانت تبحث خلف المادة الرئيسية التي تتكون منها كتلة الأشجار والنباتات، فقد كان العلماء يظنون أن البذرة تأخذ حجمها وكتلتها من التربة، لكن التجربة أثبتت أن التربة الزراعية لا تنقص لأن دورها يتركز في تزويد النبات بالأملاح فقط، فالبذرة تستمد وزنها وحجمها من الهواء بشكل رئيسي، من عناصر ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء من خلال عملية (البناء الضوئي) المعروفة والتي تجعل من البذرة شجرة ضخمة قد تصل لعدة أطنان.

ودور التربة هنا لا علاقة له بهذا الحجم العملاق، لكنه أيضا دور رئيسي وأساسي، وبغيره لا تتمكن البذرة من اكتساب القدرة على تغذية نفسها بالهواء.

هذا الدور يتمثل في أن النبات بحاجة ماسة إلى الأملاح التي ينتجها عنصر(النيتروجين)، ورغم أن النيتروجين متوفر بكثافة في الهواء حيث يُمَثّل لثلثي كمية الغازات في الغلاف الجوي تقريبا، إلا أنه عنصر خامل كيميائيا، فلا يستطيع النبات التفاعل معه، ولذلك تقوم التربة الزراعية بهذا الدور حيث تتمكن من غزل النيتروجين على هيئة أملاح تكفل للبذرة أن تستمد منه صلاحيتها للحياة لنتطلق بعدها في النمو عن طريق البناء الضوئي من الهواء الذي تعتبر مكوناته هي التي تخلق هذه الكتلة الضخمة للأشجار والثمار.

هذه النتيجة وهذه الآلية التي يعيش بها النبات، هي ذاتها التي ينبغي أن يتبعها أي مفكر مستقل في عالمنا يريد حقا أن يخدم مجتمعه ويخدم قضاياه.

وهـذه الآليـة لا تتوافـر بشـكل مثـالي بقـدر مـا تتوافـر في المبـادئ الأساسـية للحضـارة الإسـلامية، لأن بـذرة الفكـر يجـب أولا أن يتـم غرسـها في تربـة (العقيـدة الإسـلامية السـنية الصحيحـة) القائمـة عـلى الفكـر المسـتقل المسـتند إلى القـرآن والسُـنة.

هـذه التربـة بهـذا المصـدر العقائـدي السـليم، هي الـتي تؤهـل المثقـف والمفكـر كي يحتـك بـلا خـوف أو قلـق بسـائر الحضـارات والمذاهـب والأفـكار، ويتفاعـل مـع المجتمـع الـذي يعيـش فيـه سـواء كان مجتمعـا مسـلما أو غيـر ذلـك، كمـا يؤهلـه لأن يضيـف ويثـري الفكـر الإسـلامي مـن خـلال معالجـة سـائر الأفـكار الموجـودة في كل عصـر ووضـع رؤيـة النظريـة الإسـلامية فيهـا.

فالقـرآن والسـنة النبويـة الصحيحـة يتمثـل دورهـا في كونهـا التربـة التي تأخـذ التاريـخ العقائـدي القديـم الخامـل مـن سـائر الحضـارات (النيتروجيـن)، لتحولـه إلى أمـلاح تغذيـة صحيحـة تعـرض الصحيـح مـن الباطـل في هـذه العقائـد وتغسـله مـن أدران الشـرك وتقدمـه كأسـاس فكـري صحيـح ينطلـق منـه المفكـر (البـذرة) كي يتفاعـل بعـد ذلـك مـع المذاهـب والأفـكار المعاصـرة كلهـا فيسـتمد مـن هـذا التفاعـل قدراتـه وعطـاءه وثقافتـه العملاقـة (جسـم الشـجرة).

بهـذه الآليـة وحدهـا يمكننـا أن نفهـم كيـف بـدأت ونمـت وفاضـت الحضـارة الإسـلامية في المجـال الفكـري والعمـلي حيـث كان العـرب القدامـى ـ مفتقـدي كل ألـوان الحضـارة في زمـن الجاهليـة ـ عـلى موعـد مـع القـرآن والسـنة ومنهـج التشـريع الإسـلامي الـذي جعـل مـن تفرقهـم قـوة واتحـادا، وجعـل مـن ضعفهـم دولـة سـامقة سـادت عصرهـا وأنهـت عهـودا طويلـة مـن امبراطوريـات القهـر المتمثلـة في الرومـان والفـرس.

فالعـرب بمصـادر الوحـي وحـده تحولـوا في غضـون عقـود قليلـة مـن قبائـل متشـرذم بدويـة الطبـاع، شـديدة الانغـلاق عـلى نفسـها، تعيـش في بيئـة قاسـية مفتقـدة لأدوات التقـدم، إلى حضـارة سـامقة سـادت عالمهـا القديـم كلـه سياسـيا واجتماعيـا واقتصاديـا وفكريـا، بحيـث صـارت (بغـداد) و(مصـر) و(الشـام) و(قرطبـة) منـارات العلـم في العالـم أجمـع، واقتبسـت منهـم سـائر حضـارات أوربـا وشـرق آسـيا معالـم عطائهـم الحضـاري.

ندين بالإعتذار إلي البهائم

*****

مـن يتأمـل أحوالنـا اليـوم والـتي تأتينـا في كل لحظـة بأفـكار وسياسـات تثيـر غيـظ الحجـر والشـجر فضـلا عـلى البشـر، يأتيـني هـذا الخاطـر الـذي يدفعـني لمطالبتكـم مطالبـة حقيقيـة وليسـت سـاخرة، بـأن تعتـذروا إلى كل بهيمـة مـن البهائـم والأنعـام مـن حولنـا.

حقـا وصدقـا والله نحـن ندين للبهائـم بديـن كبيـر جـدا هـذه الأيـام فلـولا البهائـم لمـا أنبتـت الأرض ثمارهـا، ولا أنزلـت السـماء أمطارهـا

والدليـل في نـص حديـث النـبي ﷺ، والـذي أدعوكـم لقراءتـه بدقـة وعنايـة فائقـة، فقـد كان عليـه الصـلاة والسـلام يخاطـب الأنصـار فينصحهـم ويحذرهـم مـن أن يدركـوا العيـش في زمـن قـادم سـيكون مميـزا بخمـس مصائـب.

(يـا معشـر المهاجريـن، خمـسٌ إذا ابتليتـم بهـن وأعـوذ بالله أن تدركوهـن: لـم تظهـر الفاحشـة في قـوم قـطُّ حـتى يعلنـوا بهـا إلا فشـا فيهـم الطاعـون والأوجـاع الـتي لـم تكـن في أسـلافهم الذيـن مضـوا، ولـم يُنقصـوا المكيـال والميـزان إلا أُخـذوا بالسـنين وشـدة المؤونـة وجـور السـلطان عليهـم، ولـم يمنعـوا زكاة أموالهـم إلا مُنعـوا القطـر مـن السـماء، ولـولا البهائـم لـم يُمطـروا، ولـم ينقضـوا عهـد الله وعهـد رسـوله إلا سـلط الله عليهـم عـدوًّا مـن غيرهـم فأخـذوا بعـض مـا في أيديهـم، ومـا لـم تحكـم أئمتهـم بكتـاب الله ويتخيـروا ممـا أنـزل الله إلا جعـل الله بأسـهم بينهـم)

***هل قرأتم الحديث ...**

وبالطبـع عرفتـم الآن أن الصفـات الخمـس واقعـة ومتحققـة اليـوم بـدون شـك، ولهـذا قلـت إننـا ندين بالاعتـذار للبهائـم لأنـه لولاهـا لمـا رزقنـا الله بالثمـرة ولا بالمطـر.

فقد فشت فينا الأوبئة الغير معهودة بعد أن أصبحت الفواحش اليوم ركيزة من ركائز الإعلام، وأصبح الظلم الفاجر يتم الترويج له على أنه العدل المطلق، وبسببه صار العرب اليوم حكاما ومحكومين في أذل وأرخص قائمة بين دول العالم وأصبحوا يضربون بنا المثل في الهوان.

حتى أنه عندما خرجت مظاهرات الزنوج في أمريكا احتجاجا على مقتل الزنجي (جورج فلويد)، حملوا لافتات مكتوب عليها (لسنا عربا لتقتلونا هكذا دون حساب!)

*وبما أننا نكاد ننتظر النيازك أو تفجير البراكين فما هو الحل يا ترى ونحن مجرد عوام لا حول لنا ولا قوة، فهل يأخذنا الله بذنوب هؤلاء يا ترى...

الحل بسيط، وقد قاله لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يتحدث عن كيفية الأمن من عذاب الله فقال:

كان في الأرض أمانان من عذاب الله، رفع واحد، وبقي الآخر ليوم القيامة وهو الاستغفار.

وهو هنا يشير إلى قوله تعالى.

[وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] {الأنفال:٣٣}

فالعذاب من الله ظل محجوبا بوجود النبي ﷺ فلما رحل بقي الأمان العظيم وهو الاستغفار، ولهذا قالوا لو نزلت صاعقة من السماء ما أصابت مستغفر.

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه.

ما لا يحتاج نقاشا لإثباته!

*****

أظن أنه في زمننا الحالي لا يوجد شيء اتفق عليه الناس بعد أن تم التشكيك حتى في القرآن الكريم!

لكن الأمر الثابت حقا والذي لا يحتاج نقاشا في الواقع، ويقتنع به حتى من أنكره، هو حقيقة أن كل شخص الآن لابد أنه رأى حالة من حالات موت الفجأة،

حالة واحدة على الأقل كانت أمامه تنبض بالحياة وفجأة انتهى العمر وجاء الأجل دون أسباب، بل لا أبالغ لو قلت إنه لا يوجد شخص في العالم يدعي عدم رؤيته هذا عدة مرات حوله!

أي نعم أن الموت حقيقة لا شك فيها، لكنه كان حدثا طارئا في حياتنا والتأثر به يكون وقتيا علينا، أما في السنوات الأخيرة فقد أصبح قاعدة عامة لابد أن يكون لها محل من تفكيرنا وإلا ....

وليست هذه دعوة للتشاؤم بل بالعكس والله، هي دعوة للتفاؤل.

فالتشاؤم الحقيقي والمصيبة الحقيقية أن يأتي موعدك للحساب وأنت لم تفكر في رصيدك هناك، فالعاقل الذي لديه ذرة عقل في عالمنا اليوم لابد له من أخذ احتياطه أنه قد يتم استدعاؤه في أي لحظة.

فهل أعد جوابا للأسئلة التي سيسأل عنها هناك حيث لا يوجد أحد معه؟!

ورغم أن هذه المعلومة معلومة معروفة إلا أننا نغفل فعلا عن معناها، فأنت بالفعل ستحشر وحدك، ويسألك الله وحدك وهكذا جاء القرآن الكريم

[وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا]

{مريم:٩٥}

وهـذا معنـاه أنـه لـن يفيـدك أي دفـاع عـن نفسـك بإلقـاء التهمـة عـلى الآخريـن، فلـن يفيـدك أن النـاس كلهـا كانـت ترتكـب المعـاصي والموبقـات وأنـت شـاركتهم فقـط، ولـن يفيـدك أنـك دافعـت عـن أفعـال الظلـم لكـن لـم ترتكبـه أنـت، فيكـفي دفاعـك لـكي تكـون أنـت ومرتكبـه سـواء في الاثـم!

باختصار...

لـن يفيـدك أي دفـاع مـن أي نـوع، لأنـك لـو تحججـت بجهـل العلـم سيسـألك الله لمـاذا لـم تسـأل أهـل العلـم، ولـو دافعـت بأنـك اتبعـت أقـوال علمـاء أنكـروا النصـوص سيسـألك الله عـن الأحاديـث النبويـة الـتي حـذرت مـن هـؤلاء العلمـاء لمـاذا لـم تعمـل بهـا وفضلـت اتبـاع هـواك فأنكـرت مـع منكريهـا.

وللعلم...

كل مـا يحـدث حولنـا مـن أحـداث وفتـن نراهـا وانقـلاب في معاييـر المجتمـع، كلهـا بـلا اسـتثناء موجـودة ومنصـوص عليهـا في أحاديـث الفتـن وأشـراط السـاعة ولا توجـد واقعـة واحـدة ممـا نـراه الآن إلا وذكرهـا النـبي ﷺ وحذرنـا منهـا وأوصانـا بمـا يجـب أن نفعلـه.

هـذه الأحاديـث هي مـا سـنذكرها تباعـا هنـا بـإذن الله لمـن أراد معرفتهـا والتدبـر فيهـا[1]

(1) تـم جمـع الأحاديـث المشـرفة الخاصـة بآخـر الزمـان وكيفيـة النجـاة مـن الفتـن، في كتابنـا (فقـه السـنة في كيفيـة النجـاة مـن الفتـن وأحـداث آخـر الزمـان) ـ والـذي صـدر عـن مركـز تبصيـر لـرد الشـبهات ـ عـام 2021م

هل للعقل البشري حدود في التفكير؟

*****

بعض من يتساءلون بالشبهات أو أمور العقيدة ـ من باب التساؤل والحيرة ـ يفاجئ بعضهم بردة فعل عنيفة وهجوم شديد من الغير بسبب أن كلامه وتساؤلاته تحمل إيحاء بالطعن في الثوابت الدينية أو العقائدية

وبالطبع هناك من يفعل ذلك عن عمد بهدف التشكيك، لكن الغالبية العظمى ـ من واقع تجربة ـ ليست كذلك بل هي شغوفة بمعرفة إجابات تساؤلات تراها منطقية، وتستغرب بالتالي هجوم الناس عليها حتى لو كانوا من العلماء الدارسين والسبب كما سبق أن قلت هو غياب المبادئ المعرفية التي كان عامة الناس في عصور حضارتنا الإسلامية يحفظونها عن ظهر قلب

ولكننا في عصرنا الحالي لا نجد هذه المبادئ في أنفسنا وبعضنا امتلك ناصية أعلى الشهادات والتخصصات!

القصد ...

العيب والخطأ هنا ليس في انفعال الناس على السائل فهم معذورون، فالهجمات العلمانية والإلحادية ترتع في كل مكان وتحمل عشرات الشبهات القديمة قدم الدهر والموجودة هي وحلولها في بطون الكتب منذ ألف عام على الأقل[٢]، ولكن هؤلاء الناس يعتمدون ويراهنون على الأمية الثقافية في عوام الناس وعدم معرفتهم بهذه المصادر.

بل حتى لو عرف الناس المصادر التراثية التي تحمل حلول ملايين القضايا فلن يكون لمعرفتهم فائدة في الغالب نظرا لأن هذه الكتب مكتوبة بلغة عالية ورفيعة فضلا على كونها مكتوبة بلغة علمية

(2) ـ مثال ذلك الشبهات حول صحيح البخاري، رد عليها ردودا كاملا العلامة ابن قتيبة الدينوري في كتابه (تأويل مختلف الحديث) وابن قتيبة كتب كتابه هذا من ألف عام تقريبا، كذلك رد على نفس الشبهات العلامة ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) وغيرهم عشرات.

حاشـدة بمصطلحـات لا يفهمهـا إلا أهـل التخصـص .

وبالتالي ...

فإن أهـل العلـم عندمـا يشـاهدون تسـاؤلا أو شـبهة مثـل هـذى وفى خضـم تدافـع الشـبهات وكثـرة الخصـوم تجدهـم يضيقـون ذرعـا بإعـادة الـرد عـلى نفـس الشـبهة عشـرات المـرات بـلا فائـدة!

بالإضافـة إلى أن بعـض السـائلين تجـده ـ لغيـاب المبادئ المعرفيـة ـ يناقش مـن أجابـه بأسـلوب يثيـر أعصـاب أي متخصـص، ولا يمكنـني إلقـاء اللـوم عـلى السـائل لأنـه لا يـدري ولكـن في نفـس الوقـت يجـب التمـاس العـذر لمـن يجيـب عـلى الأسـئلة لأن مـن يناقشـه يقـع أحيانـا في التناقـض عندمـا نعطيـه الاجابـة بأكبـر قـدر مـن الوضـوح ولعـدة مـرات وهـو لا يسـتطيع اسـتيعابها فتجـده يكـرر نفـس السـؤال

أو تجـده مثـلا يطالـب بالدليـل في أمـور هي مـن الثوابـت العقليـة المطلقـة قبـل أن تكـون مـن الثوابـت الإيمانيـة وبالتـالي مـن المسـتحيل أن يطلـب عاقـل دليـلا عـلى وجودهـا

ولقد قال السلف الصالح في هذا الأمر بيت شعر يعبر عن المشكلة:

وليس يصح في الأذهان شيء ×× إذا احتاج النهار إلى دليل

بمعـنى أنـه مـن المسـتحيل أن تقنـع مـن يطلـب دليـلا عـلى أن الشـمس مشـرقة وأشـعتها تـكاد تخـرق رأسـه في وضـح النهـار!!

باختصـار دعونـا نتذكـر هـذه المبـادئ البسـيطة جيـدا قبـل الخـوض في أي نقـاش كي نريـح ونسـتريح ونتجنـب أي حـدة بيـن بعضنـا البعـض

أول المبادئ:

أي إنسـان يقـول بأنـه مسـلم سـني، فأبسـط منطـق نسـتفيده مـن هـذا القـول إن القائـل ملتـزم بثوابـت القـرآن والسـنة، أظنهـا منطقيـة جـدا ...أليـس كذلـك؟!

ورغم هذا نجد من يطلب ردا على شبهة معينة يرفض أي دليل مهما كان واضحا من القرآن أو السنة أو إجماع العلماء بحجة عدم اقتناع عقله بهذا؟! فأين الالتزام بالقرآن والسنة إذا؟!

وللعلم ليس معنى قولي أن النقاش ممنوع على من كان من غير أهل السنة, بالعكس النقاش مفتوح للإنسان ولو كان ملحدا ما دام يريد النقاش ـــ لا الجدال والهجوم فقط ـــ ولكن ينبغي بيان الأرضية المشتركة التي يتفق عليها المناقشون لكى يكون للنقاش فائدة , لأن كل إنسان يلتزم بشيء ما يقبله كدليل ومرجعية فإما أن يكون الدليل هو القرآن والسنة للمسلم السنى أو القرآن فقط بالنسبة لمن كان من الفرق المخالفة لأهل السنة أو العقل فقط بالنسبة للملاحدة أو العلمانيين أو ما شاكلهم, أو الثوابت العلمية المعملية بالنسبة لأصحاب التفكير المادي

وعدم الاهتمام بمرجعية كل محاور معناها أن النقاش سيتقلب إلى فرح شعبي الكل يغنى والكل يرقص ولا يوجد مستمعون!

ثاني المبادئ:

عندما تكون غيورا على دينك فهذا من تمام الإيمان، لكن مسارعتك بالهجوم على مناقشك أو سائلك ومحاولتك الحكم على نيته قبل حتى أن تناقشه ليس من الإيمان وليس من الغيرة بل ولا من الإسلام أصلا، واعلم أن غيرتك هذى ستفضي بك إلى تحمل ذنوب الضالين الذين نفروا من هجومك وكرهوا بيان الحقيقة نفسها ما دام قد جاء على لسانك

والتسلط على النيات محرم قطعيا على المسلم ويزداد الإثم إن كان المسلم من أهل الدعوة إلى الله، فالواجب المفترض على الداعي سعة الصدر حتى مع أكفر الكافرين، فما بالك بالمسلم المفتون أو الملبس عليه أو المخدوع، والشدة في الدعوة ليست مبررة أبدا إلا في حالة واحدة فقط

مع المعاند ...

المعانـد هـو مـن تقيـم عليـه الدليـل السـاطع الجامـع ومـع ذلـك ينكـره ويرفضـه، هـذا المعانـد سـواء كان مسـلما أو كافـرا أو مبتدعـا نحـن مأمـورون بعـدم السـكوت عنـه ولا يكـون عـدم السـكوت عنـه بمهاجمتـه في شـخصه بـل المفتـرض أن تعلـن للنـاس حقيقـة مـا يفعلـه دون أن تناقشـه أو تجلـس معـه أو تحـاوره مهمـا اسـتفزك، فالمنافقـون هـم الفئـة الوحيـدة التـي حـرم الله علينـا مجـرد الجلـوس في مجالسـهم والمنافقـون جعلهـم الله في الـدرك الأسـفل مـن النـار، والنـاس لا تقـف كثيـرا عنـد هـذه الآيـة، رغـم دلالتهـا الخطيـرة

المنافقـون أجـرم عنـد الله مـن شـياطين الإنـس والجـن وسـبب خطورتهـم أنهـم كالفئـران لا يخرجـون بمعتقدهـم إلا ويسـترونه بالنفـاق أو اللعـب بالألفـاظ، وربمـا سـأل سـائل لمـاذا أمرنـا الله بمهاجمتهم ورفض مناقشـتهم والسـبب واضـح أنهـم إذا استشـعروا الهجـوم عليهـم يسـارعون للتراجـع فـورا عـن كل مـا قالـوه ثـم يعـودون لإثـارة الشـبهات عندمـا تحيـن الفرصـة

أمـا إن كان المهاجـم مـن أهـل الكفـر والعـدوان لكنـه صاحـب منطـق وعقـل وليـس متحيـزا وإنمـا هـو إنسـان يعتقـد أو يظـن أنـه عـلى صـواب، فمثـل هـذا تأخـذه باللين والرفـق إلى النهايـة

فإذا كان هذا هو حال الكافر العدو فما بالكم بالمسلم؟!

ثالث المبادئ:

وهو أخطرها على الإطلاق ... مسألة حدود حرية الفكر

في أي منطـق في الدنيـا لا يوجـد أبـدا مفهـوم للحريـة المطلقـة لأن الحريـة المطلقـة هي التعريـف المثـالي للفـوضى وأنـت لا تعيـش في هـذا العالـم وحـدك ولـو كانـت حريتـك غيـر محـدودة لمـا نشـأت القوانيـن أصـلا .

ولهـذا فالكثيـر مـن شـباب المثقفيـن يظـن أن مـن حقـه أن يتفكـر ويفكـر ويبحـث في أي قضيـة تتعلـق بالعقيـدة أو القـرآن أو السـنة دون أي ضوابـط

وبالقطع هذا غير صحيح فلا يوجد في الدنيا كلها علم أو فكر أو فلسفة إلا ولها ثوابت محددة أشبه بالقوانين التي ينبغي عدم تجاوزها، فكل مجال في الدنيا له تعريف وقواعد تحكمه ينطبق هذا على علوم الطب والهندسة كما ينطبق أيضا على التاريخ والفلسفة وحتى الأدب الذي هو مجال يعتمد على الموهبة والهواية فالشعر والنثر له أشكال معينة وقوالب محددة ينبغي توافرها وإلا صارت هذيانا

وبالمثل ...

فالعقل البشري بما أنه مخلوق فمن أول البديهيات أن له حدودا يتوقف عندها وقدرات لا يستطيع تجاوزها لأنه مخلوق، فالخالق وحده هو الذي يمتلك القدرة المطلقة أما المخلوقات مهما كانت قدراتها تظل محكومة بقوانين عالمها مهما بدت هذه القدرات أسطورية حتى الملائكة رغم قدراتهم التي لا نستوعبها إلا أنهم مثلنا لهم قوانين محددة وصارمة لا يستطيعون تجاوزها.

وليس في تنظيم حدود العقل حجر على الأفكار فالعقل بالفعل أعطاه الله مساحة لا محدودة للتفكير، فمن الحماقة المطبقة أن نترك المجالات الواسعة التي تركها الله لنا ونحشر عقولنا في الشريحة الصغيرة التي حرم علينا محاولة تفسيرها وفهمها لأنها تخص غيبيات مطلقة

والدليل الأوضح على هذا...

أن القرآن الكريم به أكثر من ستة آلاف آية عدد آيات العقائد والأحكام لا يتجاوز ثلاثمائة آية فقط

هذه النسبة الضئيلة التي لا تتجاوز النصف في المائة هي الآيات أو المجالات التي نهانا الله عن الخوض فيها بعقولنا بينما احتشدت آيات التفكر في القرآن وأمرنا الله بها أمرا، أي أنه لم يسمح بالتفكر فقط بل جعله فريضة على المسلم وهي فوق أنها متعة فكرية، تمثل أيضا فائدة عظمى للإنسان لأنه لو اجتهد في فهم آيات الخلق والكون سيكتشف عشرات المخترعات والأفكار التي تيسر له حياته وتزيد إيمانه

بينما الخوض في الآيات العقائدية وصفات الله عز وجل وما شابهها من الغيبيات المطلقة هذا يؤدى إلى الضلال المؤكد لأنه بحث فيما لا يستطيع مخلوق إدراكه

وفوق هذا وذاك هو بحث غير مُجدي على الإطلاق ومضيعة للوقت والجهد واستنزاف لقدرات العقل بلا جدوى

وحتى نختصر ما طال من الحديث سأجيب على السؤال المتوقع بتحديد القضايا التي يحرم فيها الجدل، ولكي يريح الإنسان نفسه فكل موضوع يتعلق بأركان الإيمان الثمانية وكل موضوع نسب الله العلم به إلى نفسه فقط فهذا يعتبر موضوعا مغلقا لن نفهمه إلا يوم القيامة مهما حاولنا أو تقدمنا علميا، وهذه الموضوعات نحن مأمورون بالإيمان بها غيبا وفقط أما التساؤل عنها باستخدام متي وكيف فهذه بداية أبواب الضلال

القرآن، واستراتيجية خداع القمر الصناعي

*****

المتابعـون لتاريـخ وتفاصيـل حـرب أكتوبـر ١٩٧٣م، لابـد أن أكثـر مـا يلفـت نظرهـم هـو حجـم الإبـداع الهائل في خطـة الخـداع الإسـتراتيجي والتمويه الـتي ابتكرتهـا العقـول المصريـة الصرفـة وتمكنـت بهـا مـن مواجهـة تكنولوجيـا رقابـة تتفـوق عليهـا بأجيـال شـتى.

فلـم يكـن هنـاك بـث لاسـلكي مشـفر يسـتعصي عـلى قـدرة إسـرائيل في تتبعـه وفـك شـفرته

وكذلـك كانـت هنـاك معضلـة الأقمـار الصناعيـة الأمريكيـة الـتي تجـوب الجبهـة ليـل نهـار وتجعـل مـن قـدرة مصـر عـلى حشـد قواتهـا سـرا أمـرا مسـتحيلا.

لكـن التخطيـط المصـري توصـل في محاربـة التكنولوجيـا الأمريكيـة بطر يقتيـن .

أولهما:

التوقـف التـام عـلى اسـتخدام التواصـل اللاسـلكي بيـن القـوات قبـل الحـرب بعـدة أيـام والاكتفـاء بإبـلاغ القـوات ووحـدات الصاعقـة المكلفـة بمهـام خاصـة بأوامرهـا مكتوبـة قبـل موعدهـا الدقيـق والتشـديد عـلى عـدم اتخاذ أي خطـوة للاتصـال تحـت أي ظـرف والاكتفـاء بتنفيـذ جـدول الأوامـر وفـق التوقيتـات المحـددة وبهـذا أبطلنـا عمـل التكنولوجيـا بتـرك اسـتخدامها أصلا

ثانيهما:

بخصـوص تكنولوجيـا الرقابـة الـتي يسـتحيل إيقافهـا وهي رقابـة الأقمـار الصناعيـة وتلـك كانـت خطـة المصرييـن تتلخـص في اسـتراتيجية جديـدة

وهي (أن يري العدو استعداداتك بالأقمار الصناعية لكن لا يفهمها على أنها استعداد عسكري للحرب!)

وكانت إستراتيجية عبقرية بحيث أن الأقمار الصناعية كانت تنقل المشاهد لكن مع ذلك المحللين يعجزون عن تفسيرها بوجهها الصحيح، وذلك بإتباع أسلوب الاعتياد، فقد درجت مصر قبل عام كامل من الحرب على نقل المدرعات والقوات في طوابير علنية من القاهرة للجبهة عدة مرات بحجج صيانة الدبابات التي جعلوا مركزها متقدما في الجبهة أو بحجة المناورات المتكررة

وهكذا رأت الأقمار الصناعية حشود المدرعات علنا وهي تقطع طريقها للجبهة وقت التجهيز للحرب ومع هذا لم تفهم دلالتها!!

الشاهد والمقصود من تلك القصة :

أن الأمريكيين والإعلام الغربي وأصحاب الثقافة الغربية استخدموا معنا هذه الإستراتيجية نفسها ولكن ليس في الحرب، بل مع القرآن الكريم!

فمنذ بداية حركة التغريب في القرن العشرين والضربات تتوالى على اللغة العربية وعلومها وفنونها، وعلى التراث ولغة التراث الجزيلة الفصيحة حتى وصل الأمر بنا في القرن الحادي والعشرين أن خرجت أجيال تلو أجيال، إن قاموا بقراءة القرآن أصلا فهم يقرءون لكنهم لا يفهمون مقصوده أو مراده.

ولاحظوا أنني أتحدث عن الشباب المتدين أصلا يطالعون القرآن وقد يفهمون الكلمات نفسها ويفهمون العبارات لكنهم لا يدركون دلالتها ولا ماذا تعنى؟! بالنسبة لهم أصبحت الآيات طلاسم تعبدية نرددها لكننا لا نفقهها!!

وهذا أمر طبيعي مع انهيار تعليم اللغة العربية والأدب العربي بحيث أصبح الشباب الآن غير قادر حتى على إدراك جماليات البلاغة في بيت شعر، أو روعة الأسلوب في جملة نثرية، فما بالك بآية كريمة من كتاب الله

كل أب وأم الآن يركـزون عـلى اللغـات الأجنبيـة ويعلنـون الفرحـة لإجـادة الأبنـاء لهـا، وهـؤلاء الأبنـاء أنفسـهم، سـيكون أحفادهـم أول أتبـاع المسـيح الدجـال.

لماذا؟

المسـيح الدجـال سـيظهر عـلى جبهتـه بوضـوح كلمـة (كافـر) ورغـم هـذا سـيتبعه الآلاف، ولا تفسـير لهـذا إلا أن أتباعـه سـيقرءون كلمـة (كافـر) لكنهـم لـن يعرفـوا معناهـا ولا دلالتهـا؟!!

العرب وملوكهم ورؤسائهم الأشاوس!

*****

عندما بعث الله ﷻ نبيه محمد ﷺ في العرب برسالة الإسلام للناس كافة، حملها جيل العرب الأول ومن تلاه لمشارق الأرض ومغاربها، واستمر دعاة العرب وعلمائهم عبر القرون يمدون قارات العالم بعلوم الإسلام وعقيدة التوحيد...

هنا حدثت ملحوظة هامة رآها كل من اهتم بمجال المسلمين في أقاصي آسيا وافريقيا وأمريكا وأوربا.

هذه الملحوظة هي أن عوام المسلمين في تلك البلاد البعيدة نظروا للعرب نظرة عظيمة جدا هي نفس نظرتنا نحن عوام العرب للصحابة رضي الله نعم!

نعم كان كل مسلم عامي في آسيا وافريقيا يرى في العربي العامي ــ لا العالم ــ أنه رجل جدير بالتقدير الوافر كالصحابة لأنهم اعتبروا العرب المعاصرين هم أحفاد الصحابة، هل تتخيلوا؟!

وكل من سافر لهذه البلاد ـــ فيما قبل عصر الإنترنت ـــ يعرف حقيقة ما أقول، وبلغ من تقدير أهل تلك البلاد أن أي مدرس لمادة اللغة العربية أو الدين يخرج في إعارة إليهم كانوا يعاملونه كمعاملة شيخ الأزهر أو الدبلوماسي رفيع المستوى!

وهذا طبعا كان قبل انتشار الإنترنت والفضائيات والذي جعل من العالم قرية صغيرة،

وعاش مسلمو الهند والصين وأوربا وأمريكا حتى رأوا العرب على صورتهم الحقيقية في أقبح مناظرها والله!

فلأننا اليوم نعيش في بلادنا تحت حكم حكومات لا تعرف الخجل أصلا، وليت أنهم مثلا سكتوا وتجاهلوا ما يجري من مذابح عرقي ضد مسلمي آسيا وافريقيا، وما يجري من اضطهاد وسجن وقتل للمسلمين في استراليا وأمريكا وأوربا!

لا لـم يكتفـوا حـتى بالسـكوت بـل كانـوا أشـد فجـرا وإجراما مـن حكومـات تلـك البـلاد العنصريـة عندمـا دعمـوا تلـك الحكومـات دعمـا صريحـا وواضحـا وبتصريحـات لمسـئولين عـلى أعـلى مسـتوى تتهـم الإسـلام وكل مـن يقـول إنـه مسـلم بأنـه إرهـابي محتمـل!

وبـأن الصيـن والهنـد وفرنسـا ليـس فقـط مـن حقهـم الإبـادة الجماعيـة للمسـلمين مـن مواطنيهـم بـل ينبـغي لهـم أن يسـتمروا في تلـك السياسـة حـتى يحمـوا أمنهـم القومـي!

فـإذا كان موقـف حكومـات العالـم العـربي في التسـعينات كان موقفـا مخزيـا بالسـكوت، وجـاء مـن بعدهـم حكومـات ترفـض التعليـق عـلى اضطهـاد المواطنيـن.

فحكومات العالـم العـربي اليـوم أصبحـت أشـد عـداء للمسـلمين مـن كافـة حكومـات الأرض، وظهـر هـذا واضحـا في تصريحـات رسـمية قالهـا أحدهـم أن بـلاد آسـيا وأوربـا بهـا ملايين المسـلمين وهـذا يعـني أن الخطـر عـلى تلـك البـلاد يكمـن داخلهـا مـا لـم تتخـذ اجـراءات وقائيـة ضـد مواطنيهـم المسـلمين!

وقال الآخر:

أن العالـم بـه مليـار ونصـف مليـار مسـلم فلـو افترضنـا أن المتطرفيـن بهـم بنسـبة واحـد بالمائـة فهـذا يعـنى ١٥ مليـون إرهـابي!

ثم أضاف: فهل ممكن أن نتخيل ماذا يفعل ١٥ مليون إرهابي بالعالم!

يا سلاااام

المسـلمون فيهـم ١٥ مليـون إرهـابي بينمـا جيـوش أوربـا وأمريـكا والصيـن والهنـد التي تحمـل تاريخ ١٣ قـرن مـن جرائـم الحـروب والحمـلات الصليبية والإبـادة الجماعيـة ليسـت إرهابيـة في نظـره!

أقسـم باللـه العـلى العظيـم أن أبـا جهـل لـم يسـعه مـا وسـع هـؤلاء لأنـه عـلى الأقـل كان يعـرف الخجـل والمـروءة فـلا يحـرض عـلى قومـه وأهلـه

الحرة التي أكلت بمفاتنها!

*****

هـو مثـل عـربي شـهير جـدا يقـول (تجـوع الحـرة .... ولا تـأكل بمفاتنهـا)، والمثـل يعـطى صـورة عـن أن أحـرار النسـاء مـن العـرب لا يمكـن لواحـدة منهـن أن تـأتي الفاحشـة ـــ حتى لـو جاعـت ـــ بـل وحـتى لـو يكـن الزنـا حرامـا لمـا فعلتـه مـروءة.

هكـذا كانـت (الحـرة) في تاريخنـا العـربي الأصيـل الـذي قـال فيـه النـبي عليـه الصـلاة والسـلام:

(النـاس معـادن كمعـادن الذهـب والفضـة، خيارهـم في الجاهليـة ... خيارهـم في الإسـلام إذا فقهـوا)[٣]

بمعـنى أن أسـاس الأخـلاق العـربي كان موجـودا ومتوفـرا وجـاء الإسـلام فتمـم الناقـص منـه.

هـذا عـن أخـلاق (الحـرة) في زمـن الجاهليـة وبالطبـع في زمـن الإسـلام، أمـا في عصرنـا الحديـث فهنـاك (حـرة) مـن نـوع آخـر، فهـي قنـاة مـن القنـوات الفضائيـة الأمريكيـة تنطـق بالعربيـة وموجهـة للبـث في منطقـة الشـرق الأوسـط فقـط[٤] وتتسـمى بقنـاة (الحـرة) لكـن التسـمية لا علاقـة لهـا بالمسـمى فعمـل القنـاة الإعلاميـة قائـم عـلى الدعـارة الإعلاميـة ـــ وعـذرا عـلى اللفـظ ـــ وهـي تسـتعين وتقـوم بتأجيـر رجـال مـن المفتـرض أنهـم مسـلمون وعـرب لكـن أعمالهـم يخجـل منهـا اليهـودي والمجـوسي أن يفعلهـا بعقيدتـه أو وطنـه.

(3) ـ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة. كما أخرجه مسلم في صحيحه بتمامه.

(4) ـ هـذه القنـاة وأمثالهـا يتـم بثهـا مـن نفقـات الحكومـة الأمريكيـة الـتي توجههـا لمناطـق متعـددة مـن العالـم لتنفيـذ مصالحهـا، والترويـج لأفكارهـا، ومـن المعلـوم أنهـا لا تبـث في داخـل أمريـكا نفسـها لأن القانـون الأمريكي يمنـع الحكومـة مـن تأسـيس أي أدوات إعلاميـة تابعـة لهـا موجهـة للمواطنـين الأمريكيـين لأن هـذا ضـد مبـادئ الدسـتور، أمـا إن كانـت موجهـة لبلادنـا فـلا بـأس!

وابراهيم عيسى انكشف أمره وانتهى منذ زمن بعيد لكنه كعادته ـ يعمل بلقمة عيشه ـ فحيثما كان التمويل تجد ابراهيم عيسى والبحيري وأمثالهما.

والقصة كالتالي:

أولا:

كشف الإعلامي المعروف حافظ الميرازي عن تعاقد قناة (الحرة) مع ابراهيم عيسى والبحيري لتقديم برامج (إسلامية!) وطبعا نعرف ما هو نوع الإسلام الذي يقدمونه، فهو الإسلام الذي يستنكر فيه ابراهيم عيسى أن يقرأ الناس القرآن باعتبار القرآن بعيد عن تخصصهم!

ثانيا:

ثار الناس مع تصريحه الأخير واعتبروه امتدادا لسلسة الإلحاد التي يروج لها منذ عدة سنوات مع أنهم لو فهموا القضية لما ثاروا وما غضبوا

لأن ابراهيم عيسى أيها السادة ليس ملحدا أو شيعيا أو علمانيا أو إسلاميا!!

ابراهيم عيسى يعمل بعمل صاحبات الرايات الحمراء حيثما وجهها سيدها تمتثل لأمره وليس لها الحق في الاعتراض على الزبون

ثالثا:

وحتى يكون كلامنا موثقا ارجعوا لتاريخه القريب أيام جريدة الدستور في الإصدار الثاني حيث كانت الجريدة توزع وتكسب بسبب دعم الإخوان تنظيميا لها وبشكل شبه معلن وبأوامر خيرت الشاطر كان الإصدار الأسبوعي للجريدة ينفذ فور صدوره، وبالمقابل فقد كان ابراهيم عيسى وقتها إسلاميا أكثر من الإسلاميين وراجعوا أعداد الدستور وستجدونها مليئة بمقالات الدفاع عن الإخوان ضد مبارك ومقالات الدفاع عن الفكر الإسلامي وتاريخه

بـل وصـل إبراهيـم عيـسى في تطرفـه إلى أنـه دافـع في مقـال كامـل عـن الجماعـات الإسـلامية نفسـها ـــ ليس الإخوان ـــ بل الجماعـات ووصفهم بأنهـم شـباب يدافعـون عـن العقيـدة لكنهـم أخطئـوا الطريـق!

وهاجـم وزارة الثقافـة في أزمـة الروايـات الإلحاديـة بـل إنـه كتـب مقـالا مطـولا في الدسـتور ذات مـرة استشـهد فيـه عشـرين حديثـا مـن صحيـح البخـاري!، ومقـال آخـر دافـع فيـه بضـراوة عـن الإمـام الشـافعي

رابعا:

ورغـم الوجـه الإسـلامي لإبراهيـم عيـسى في ٢٠٠٤ وحـتى ٢٠١١ إلا أنـه عندمـا كان تحـت رعايـة العلمانييـن في جريـدة روز اليوسـف لـم يكـن كذلـك بـل كان علمانيـا محضـا وكانـت مقالاتـه موجهـة بضـراوة ضـد الشـعراوي والغـزالي وشـيوخ الأزهـر.

خامسا:

في الفتـرة مـن ٢٠١١ حـتى ٢٠١٤ كان ابراهيـم عيـسى هـو صاحـب أول مانشيت يقـول (يسـقط حكـم العسـكر) وشـعار (عسـكر كاذبـون) أيام حكـم المجلـس العسـكري

أمـا بعـد ٢٠١٤ وحـتى اليـوم فقـد انقلـب عيـسى إلى التأييـد المطلـق للحكـم العسـكري وتبـنى توجهـات الهجـوم عـلى ثوابـت الديـن والدعـوة للتجديـد بزعمـه، رغـم أنـه هـو نفسـه كان مدافعـا شرسـا عـن هـذه الثوابـت وعـن التاريـخ الإسـلامي قبـل ذلـك وكان لـه برنامـج شـهير يتنـاول فيـه تاريـخ الصحابـة وحكـم الخلافـة الراشـدة!

ولـه صـورة شـهيرة مـع ابنـة خيـرت الشـاطر عضـو مكتـب إرشـاد الاخـوان، وأعـتى مجرميهـم وواحـد مـن مهنـدسي صفقـة قتـل ثـورة يناير مـع المجلـس العسـكري

وكانـت الصـورة في بدايـات ٢٠٠٤ عندمـا ذهبـت تطلـب منـه مناصـرة أبيهـا في قضيـة ميلشـيات الأزهـر واسـتجاب ابراهيـم عيـسى لطلبهـا وجنـد الجريـدة للدفـاع عـن الشـاطر

وبالتالي ...

يجـب أن نفهـم طبيعـة هـذا الرجـل حـتى لا نظلمـه، فالرجـل مأجـور ويعمـل بضميـر ليخـدم توجهـات مـن اسـتأجره

حمو بيكا ... سلاح العرب النووي!

*****

تصوروا أيها الأحباب إلى أي مدى وصل الحقد وأعداء النجاح، وهم يشوهون رمزا من رموز مصر العظيمة مثل (حمو بيكا) الذي تم تكريمه مؤخرا في السعودية بسيف ذهبي ضخم مع عدة تكريمات أخرى جرت لزملائه ورفاق الكفاح!

وأنا فعلا لا أدرى متى يتوقف الحاقدون الذين يشوهون الإنجازات العربية!

متى يدركون البطولات الخفية والانتصارات المخفية التي يحققها العرب مؤخرا في مصر والإمارات والسعودية وقطر ولبنان،

متى يعرفون قيمة أبطال عظام يمثلهم في العصر الحالي (حمو بيكا) الذي يقف حائط صد للأمن القومي العربي كله، ولهذا السبب تم اهداؤه سيفا ذهبيا بالتحديد

حمو بيكا ليس مطربا بل هو مقاتل يجاهد هو وكتيبة تجديد الخطاب الديني كي ينقذ العرب ويدحر أعداءهم بجهاده!

وحتى تقتنعوا بكلامي سأشرح لكم من الوثائق السرية بطولات (حمو بيكا) و(كزبرة) وغيرهم من أصحاب الحناجر التي تخرج أصواتا مؤثرة لا ينافس قوتها إلا الأصوات والروائح التي تخرج من مؤخراتهم!

لقد استغلت الحكومات العربية مواهب حمو بيكا ورفاقه وتمكنوا من تجنيدهم بشكل سري في مجال (الحرب الكيماوية) كي يصبحوا أحد أسلحة الدمار الشامل استعدادا لأي حرب عالمية قادمة.

وتم تنفيذ واحدة من أخطر العمليات مؤخرا أثبت فيها حمو بيكا جدارته بالسيف الذهبي.

فلو لاحظتم أن زيارة (حمو بيكا) للسعودية كانت في وقت زيارة الرئيس الفرنسي (ماكرون) الذي قامت حكومته بالاعتداء على سيرة النبي عليه السلام كما قاموا بمحاربة كافة الشعائر الإسلامية في بلادهم وغلق المساجد وحبس أئمتها.

وبالتالي تحركت الدول العربية الكبرى بشكل سري للرد على تلك التجاوزات وتم استخدام (حمو بيكا) في تجربة عملية حيث جرى استدراج الرئيس الفرنسي ماكرون إلى مأدبة عشاء وهناك تم إيقاعه في فخ محكم بحيث حبسوه في غرفة مغلقة بلا منافذ

ثم أدخلوا عليه حمود بيكا ورفاقه بعد أن تم تجهيزهم بشكل سري للمهمة عن طريق إطعامهم ربع طن محشي من أجود الأنواع وملئ بالبهارات التي تجعل القولون أشبه بالمحرك النووي

وداخل الغرفة قام حمو بيكا وفريقه بأعظم إنجاز حيث غنوا أحدث المهرجانات من أفواههم وأطلقوا كمية غازات غير تقليدية من مؤخراتهم شوهت وجه وجلد الرئيس الفرنسي تماما!

وتم تهديده بأن غناء وغازات حمو بيكا سيستمران ما لم يعتذر ويقدم الترضية المناسبة.

وبالفعل أفادت التقارير أن ماكرون اعتنق الإسلام سرا وقام بعمل عمرة بشكل سري أيضا بعد أن ألبسوه ملابس المنتقبات نظرا لأن هيئته التشريحية أقرب للنساء منها للرجال كما تعلمون!

فحيوا معنا حمو بيكا حامى حمى الإسلام وصاحب السيف الذهبي!

فن صناعة الثروة

*****

الناس من حولنا تلعب بالملايين أو بمئات الآلاف على الأقل، ونحن ليس لدينا إلا الكلام والنصائح والحديث عن الزهد والرغبة عن الآخرة!

في حين أنه لو جاءتنا الفرصة لنشارك أصحاب الملايين فلن نتردد، وعندها أيضا سنجد ألف مبرر مشروع لما نفعل، فنقول مثلا أننا أي نعم أصبحنا مثلهم ونسكن في مساكنهم ونسهر سهراتهم لكننا نخرج الزكاة ونتبرع للفقراء ونصوم ونحج كل عام ولا شك أن الحج والعمرة مكفرات عن حياة البذخ واللهو التي كنا ننتقدها قديما وعندما أتيحت لنا الفرصة فعلنا مثلهم وأكثر

ألا تجد أن أصحاب البذخ والفواحش أنفسهم يصطفون للحج والعمرة ويخرجون تبرعاتهم للفقراء أمام الشاشات كما أنهم يجدون من الشيوخ من يفتيهم بصحة ما هم عليه بل ويجعلونهم من أولياء الله الصالحين أيضا!

الكلام السابق أيها السادة هي خاطرة تتردد في أذهاننا جميعا ـــ إلا من رحم الله ـــ لكن السؤال هنا حقا؟!

هل هذا الكلام صحيح بالفعل أو له قيمة حقيقية؟!

الواقع يقول إنك تستطيع أن تخدع وتتذاكى على الناس لكن كيف يمكنك أن تخدع رب العالمين يا ترى؟!

فالحقيقة ليست كذلك أبدا، لأن الحقيقة الثابتة الأزلية هي أن الموت لحظة تأتى فجأة لا يمكنك تأجيلها ولا دفعها وفي زماننا الحالي أصبحت أكثر انتشارا بشكل فادح، حيث يموت الآلاف فجأة ودون أي مقدمات!

وحتى لو كان عقلك من داخلك فيه شك من البعث والحساب، فلن يكون تفكيرك الدنيوي هنا نافعا لك، لأن لو حسبت الحسبة على أن تنال

أكبر قدر من متعة الدنيا قبل الرحيل ظنا منك أن البعث والآخرة غالبا خرافة، فهذا لا ينفي أن هناك احتمال ولو واحد بالمائة أن يكون البعث والحساب حقيقيا بالفعل؟! فما الذي تتوقع أن تراه عندما تأتى اللحظة المرتقبة!

الواقع والتاريخ أمامنا شاهد بلحظات الوداع لملوك وأباطرة وملياديرات كان كل منهم يعيش أيامه الأخيرة في حسرة وحسد وحقد لا نهائي لأنه سيترك كل ما كان فيه لغيره ـــ حتى لو كانوا أولاده ـــ فلحظة الموت تهون عندها عشرات السنوات من المتعة والنفوذ والسلطان

فهؤلاء الناس ـــ حتى لو كانوا من الأتقياء ـــ إلا أنهم يتحسرون حقا في تلك اللحظة ويكرهون حدوثها نظرا لما عاشوا فيه من النعيم .

بالمقابل ...

نرى أن تلك اللحظات عند من عاش عمره يحسب حساب تلك اللحظة، نراه على العكس، يكون منشرحا ومقبلا عليها بل يكون في قمة اطمئنانه أيضا لأنه رضي أن يتعب عمره كله في سبيل ألا يتعب في لحظة المفارقة، بعكس من تعب عمره للدنيا وتجاهل تلك الحقيقة

المفارقة تستحق التأمل حقا...

ارجعوا إلى آخر الكلمات التي نطق بها الأباطرة والملوك والأغنياء، وبالمقابل ارجعوا لآخر اللحظات التي عاشها أصحاب الفضل والتقوى وستعرفون عندها بالفعل أن الأمر يستحق.

ويكفيكم أن تتأملوا أعمار الحكام والملياردیرات وأصحاب النفوذ ممن طغوا وتجبروا، تأملوا أعمار بعضهم التي فاقت الثمانين والتسعين وبعضهم لا زال يكدس في الثروات ويتحدث عن مستقبله في الحكم والثروة؟!

بل إن العته الحقيقي بل بهم أنم أعدوا لأنفسهم مقابر على مساحات شاسعة ومبنية بديكورات فاحشة الثراء ظنا منهم أن هذا الأمر يشرفهم في الآخرة كما في الدنيا؟

فهل يعلم هؤلاء المخابيل أن البناء على القبر محدد فقط بقليل من التراب فوقه، وكل ما علاه بعد ذلك فهو ثقل على الميت نفسه!!!

أي أن هؤلاء الذين فرحوا بجنازة باذخة وشيدوا له قبرا ومدفنا رخاميا على مساحة شاسعة إنما جعلوا كل هذا الوزن فوق رأس أبيهم إلى يوم القيامة!

فتأملوا

جدة (إبراهيم عيسى) شاركت في الحملة الفرنسية!

*****

يروي لنا الكاتب البارع (محمد توفيق) في ثلاثيته الماتعة (الملك والكتابة)، جانبا من تاريخ الصحافة في مصر والتي بدأت مع قدوم نابليون والحملة الفرنسية، حيث خطط نابليون لاستخدام الصحافة والإعلام كوسيلة سيطرة على المصريين كما يتصور!

وكان نابليون في طريقه للحملة لا يقرأ إلا كتب التاريخ باعتبارها أساس كل عمل سياسي وعسكري ويحرض جنوده على قراءتها وترك قراءة الروايات حتى أنه عندما رأى أحد جنوده يقرأ في رواية فرنسية مزقها وصرخ في الجنود:

(هذه قراءة تليق بخادمات الغرف، أما الرجال فعليهم قراءة التاريخ فقط)

وأصدر نابليون جريدته (كير دى لي يجيبت) أو (البريد المصري)، وحشاها بكل ما يمكن أن يلفت نظر المصريين ويكسب ودهم وتأييدهم لكن المصريين اتخذوها وسيلة للسخرية من نابليون وجنوده ـــ الحكاية دي قديمة فينا احنا كمصريين ـــ وعانى نابليون كثيرا من عدم استطاعته الوصول لقلب الشعب فكشف عن وجهه القبيح بسياسة حرق الأرض فكان يحرق القرى المقاومة بسكانها، ويضرب المظاهرات بالقنابل المقاومة المسلحة التي كان كافة قوادها من شيوخ الأزهر بالمناسبة!

وكانت الجريدة الفرنسية تنشر أخبار الإعدامات لشيوخ المقاومة أولا بأول، في نفس الوقت الذي كان فيه شيوخ السلطان يُحَرّمون الخروج على نابليون!

واشترك مع شيوخ الأزهر وأبطال الشعب زوجات وأمهات وَجَدّات المصريين حيث كانوا يقاتلون ويقامون جنود الاحتلال من نوافذ بيوتهن بإلقاء الزيت المغلي عليهم أو باستخدام السلاح .

وفي نفس الوقت كان نابليون يعاني أيضا من الأمراض المستعصية التي أصابت جنوده في مصر حيث عانى أكثرهم من مرض الجدري ومن مرض (الزهري)، ومرض الزهري هذا عياذا بالله هو مرض جنسي يصيب مدمني العاهرات .

وكان الجنود الفرنسيون قد أصيبوا به من ترددهم على شوارع الساقطات في القاهرة، وهو الأمر الذي دفع نابليون لإصدار أوامره بإعدام البغايا والعاهرات بسبب ذلك .

وكان الفرنسيون أيضا مغتاظين بشدة من عوام النساء في مصر مختمرات ومنتقبات بالحشمة الكاملة فلم يجدوا أمامهم إلا الساقطات.

وقد عبروا في مذكراتهم عن أزياء نساء مصر بقولهم إنها أزياء سوداء بغيضة وعلاقتهم بالرجال في الأسواق لا تعبر عن الثقة (نظرا لأن العلاقة بين الرجال والنساء في مصر كانت محرمة ولو بمجرد الحديث العابر في الشوارع) .

خلاصة الحديث أيها الأحباب أن التاريخ في مصر يحكي لنا عن نوعين من الرجال ونوعين من النساء

النوع الأول رجالا ونساء يلتزمون الحشمة والوقار ويقاتلون المحتل قتالا لا هوادة فيه

والنوع الثاني هو من عواهر الرجال والنساء ممن ينافقون المحتل ويضاجعونه

وفي ضوء قول إبراهيم عيسى الأخير، أن جدات المصريين كانوا يرتدون المايوه والأزياء المكشوفة حتى جاءهم ما أسماه الغزو الوهابي في السبعينيات

وبغض النظر عن عدم صدق المقولة تاريخيا قطعا، لأن الأزياء البالغة الاحتشام كانت ديدن نساء ذلك الزمن عدا الساقطات .

وبمـا أن إبراهيـم عيـسى مصـري أصيـل، فلابـد أن أجـداده كذلـك، ومـن المؤكـد أن أجـداده شـاركوا مـع أجدادنـا في زمـن الحملـة الفرنسـية

لكـن السـؤال هنـا، في أي صـف كانـت تشـارك جـدة إبراهيـم عيـسى يـا تـرى في ضـوء أقوالـه عـن أزيـاء جَـدّات المصرييـن؟!

(المادة المظلمة) أساس الكون، وأساس الإيمان أيضا!

*****

الفلسفة في جوهرها ـــ رغم كونها فكرا محضا ـــ إلا أنها مستقاة في معظمها من الظواهر الكونية والفيزياء

حتى أن مدرسة (عالم المُثُل) التي أسسها سقراط وشرحها تلميذاه أفلاطون وأرسطو استمدت من الظواهر الكونية نظرية المعرفة والقانون.

وكل من لديه الشغف بعالم الفلك سيعرف أن العلماء منذ عام ٢٠٠٤ وهم في دوامة حائرة من ظاهرة (المادة المظلمة)، والتي اتضح أنها تشغل مساحة ٩٥ **%** من الكون المنظور!

مادة بهذا الحجم الرهيب ولا يتمكن العلم من معرفة شيء عنها، والأدهى والأمر أنها القوة العظمى في الكون وتتكون من أبجديات مواد تختلف تماما عن مكونات المجرات والكواكب والنجوم!

فهي مادة مظلمة مجهولة قوتها ضارية لو تمت مقارنتها بالقوة المعروفة في النجوم والمجرات الهائلة في الكون لأصبحت إلى جوار المادة المظلمة مجرد قوة هامشية!

المادة المظلمة تم اكتشاف وجودها عندما أثبت العلماء أن سرعة دوران المجرات حول نفسها لابد أن ينتج عنها تطاير النجوم في الفضاء لأنها سرعة رهيبة مضادة لقوة جذب المجرات حتما لكن النجوم تظل قابعة متماسكة!

والسبب هو وجود المادة المظلمة في قلب المجرات وفى فضاء الكون وهي طاقة صافية من الجاذبية الغير المتصورة تستطيع إمساك نسيج السماء في مكانه بحيث لا تتفلت النجوم من مجراتها مهما كانت سرعة دوران المجرة أي أن تلك المادة المظلمة التي لا تشع في السماء ولا يعرفها أحد ولا تنتج أي ضوء يعلن عن قوتها اكتفت بالقيام بدورها دون إعلان، وتركت البشر على الأرض ينبهرون بالشموس والنجوم

العملاقة وطاقتها الرهيبة وإشعاعها الذي يقطع ملايين السنوات الضوئية ولا يتبدد، بينما هناك مادة أخرى أكبر بمراحل وأقوى من ذلك الإشعاع بفداحة، لكنها لم تضيع وقتها في الظهور بل أمسكت بأعمدة السماء وبنظام الكون دون أن تبالي بإعلان قوتها أو دورها.

هذه المادة المظلمة بعينها، تشبه تماما أولئك العلماء والمفكرين الذين اعتزلوا، وانعزلوا، بكل ما يحملوه من علم متدفق وعقيدة سليمة، وفكر عملاق، اعتزلوا ليستقلوا عن كافة ما يدور في عالم الشاشات والإعلام،

ذلك الإعلام الذي صنع نجوما من كربون محترق ومنحها الإشعاع، وأتى بعلماء آخر الزمان وجرفهم في تيار العنصرية والتحزبات، ولم يأت بأي عالم أو مفكر مستقل إلا فيما ندر

ذلك بأن المستقلين بعلومهم وفكرهم اليوم أصبحوا مادة حارقة وساحقة تكشف وتفضح كل ما يجرى لهذا رفضوهم

واستجاب المستقلون لذلك في الواقع واكتفوا بالقيام بجذب كل تلاميذهم ومن يتابعهم وتحصينهم وإمساكهم بعيدا عن دوائر صراع الديكة، وعلموهم العلم الصحيح والفكر الصحيح وأوصوهم بالاستقلال عن كل شئ إلا عن دائرة القرآن والسنة والوطنية الصحيحة لا وطنية الإعلام

اعتزل هؤلاء المستقلون في شرنقة كل منهم ومحرابه، كي يكتب ويسجل وَيُعلم ويعطى من حوله ثم يترك ما كتبه لزمان قادم، هو زمان قادم حتما تحدث عنه د. مصطفي محمود وتنبأ فيه بزمن اليقظة، لهذا قال الرجل أنه ما كتب لجيله ولا لأجيالنا، بل يكتب لجيل قادم سيدرك أن معادلة صراعات اليوم هي معادلة صفرية وينتبه بنفسه ويصلح شأنه، جيل يبنى من جديد، وقد كتب لهذا الجيل متمنيا من الله أن تكون كتاباته مجرد علامة إرشادية لهم على الطريق .

معنى وقوف الله إلى جوارك.

*****

فلسفة عميقة جدا تلك التي تحتويها آيات القرآن حول موضوع نصرة الله للمظلوم، فلسفة ينبغي علينا فهمها واستيعابها جيدا لأن الفهم الخاطئ فيها هو السائد، ويكفي مثلا أننا كنا نحسب لجوء المظلوم لله وهو بلا قوة دلالة ضعف!، وتجد كل واحد منا يتمنى امتلاك القوة حال الخصومة ويفتخر بها بينما أعلى درجات القوة هي ألا يكون لك نصير إلا الله

وإدراك تلك الفلسفة هو الذي يفسر لنا ألغاز موضوع تحقق انتقام المظلوم من الظالم، لأننا نرى أحيانا مظلوما مات قبل أن يأخذ حقه، ومظلوم آخر أخذ حقه لكنه انتهى بنهاية الظالم نفسه وكأنه تساوى به رغم أنه كان مظلوما، ومظلوم آخر أخذ حقه في الدنيا كاملا بشكل يشبه المعجزة، وهذا التفاوت له دلالته على أن هناك طريقة واحدة هي الطريقة المثلي لأخذ الحق دون الوقوع في الظلم نفسه.

وشروط هذه الطريقة تلخصها آية من القرآن خاصة بأشهر قصص الانتصار على الظلم ألا وهي قصة يوسف عليه وعلى آبائه ونبينا الصلاة والسلام، حيث قال الله على لسان يوسف عندما أعلن انتصاره أمام إخوته

(قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين)

فالشرط الأول :

أن نتق ونصبر، ومن الحماقة البشرية الكبري أننا لا ندرك قيمة الجانب الإيجابي في التعرض للظلم، لأن الله تعالى هو العدل المطلق وبالتالي فإن المظلوم يضمن تدخل الله عز وجل لصالحه لكن التعجل وترك

التقوى هو ما يقف خلف الخذلان، فالمظلوم إذا أحال أمره إلى الله بقوله (حسبي الله ونعم الوكيل) ينبغي له عدم الوقوع في فخ الشيطان إذا وسوس له بأن يسعي لأخذ حقه بقوته هو، بحيث يصبح اللجوء إلى الله شيمة الضعيف فقط وتلك مصيبة جامعة وثقافة منتشرة بين الناس حيث يتخيلون اللجوء إلى الله هو صفة من لا يملك قوة الردع بينما اللجوء إليه سبحانه شرط لازم لتحقيق انتقام نظيف من الظالم، بينما لو استبد الإنسان بقوته وحده يسحب الله منه تأييده ويجعل أمره إلى نفسه .

وبالتالي يقع المظلوم في فخ الافتراء لغياب ستر الله عنه ويصبح أشد ظلما من ظالمه والتقوى هي التي جعلت التأييد الإلهي ليوسف تأييدا مطلقا حتى قال وفى قمة انتصاره أن الله هو من نصره ولم ينسب نصره إلى نفسه لهذا جعله الله من المحسنين ومن الأنبياء فضلا على منصب الحكم خلاف إخوته جميعا.

الشرط الثاني :

الصبر، فالله عز وجل خلق الإنسان عجولا وتعهد برحمته الواسعة لكل صبور، لذلك جعل من شروط إجابة الدعاء عدم الدعوة بالتعجيل، ولو أدرك الإنسان أن صبره يجعل انتقامه أقوى وأوقع مما يتصور لما تعجله، فيوسف عليه السلام خرج من مأزق إخوته ليجد الظلم عند من اتخذوه عبدا وباعوه بثمن بخس ثم مر بالأزمة الثالثة وهي فتنة امرأة العزيز، ثم الأزمة الرابعة بالسجن ظلما، ثم الأزمة الخامسة بأن ينسي رفيقه في السجن وصيته له فيطول مقامه في الحبس، فلما صبر لذلك كله خلق الله لأجله أزمة كبري عمت البلاد والعباد كي يجعله سببا في تفريجها، بعد أن منحه الله الموهبة لحلها، فيخرج يوسف عليه السلام من السجن إلى كرسي العزيز في أقوى دولة في زمنه، ثم تكتمل القصة بأن يجعل الله الأزمة سببا في قدوم إخوته وأهله عنده وهم في أضعف حال بينما يستقبلهم وهو في أعز مكان ولا شك أن تلك اللحظة كانت أقوى وأعز من كافة الأزمات التي مر بها، وردا انتقاميا مهولا وشاملا بأكثر مما تمناه يوسف نفسه.

الشرط الثالث :

مما سبق نستطيع أن نفهم لماذا يتخلى الله عن مظلوم، وهو مخالفة الصبر والتقوى والاستبداد بالقوة، ونستطيع أيضا أن نفهم لماذا يتحقق الانتقام للمظلوم كاملا، وكذلك نستطيع أن نفهم لماذا لا يتحقق أحيانا أي انتقام للمظلوم في حياته، وهي الحالة الثالثة النادرة التي يجعل الله عز وجل الحساب والحق فيها للآخرة وذلك استجابة للمظلوم نفسه،فهناك فئة من الناس تولاها الله برحمته واختارها لتقواه للدرجة التي جعلتهم يسألون الله الصبر طيلة حياتهم وأن يأخذوا حقهم كاملا في الآخرة لا ينقص منه نعمة رد الحق في الدنيا وشفاء الصدر من الظالم، وهؤلاء هم القلة التي يجزيها الله عز وجل بمقام بالصابرين يوم القيامة فيجعلهم يدخلون الجنة بدون حساب أصلا، ورغم هذا يُرد الله حقهم بعد وفاتهم من الظالم ولكن دون أن ينقص هذا ذرة من أجرهم، بل يكون المقابل الأجمل أن يعطى الله أبناءهم وذويهم هذه الفرصة كرامة من عنده فضلا على جزائهم في الآخرة

نسأل الله عفوه وعافيته

قصة الحب الأكثر إحباطا في العالم

*****

تحتل قصص الحب في التراث العربي مكانة رهيبة عند الأدباء بل وعند الجمهور، لا سيما وأن معظم قصص الحب التي وصلتنا قديما وحديثا كان أبطالها من الشعراء، ولهذا ظلت خالدة خلودا أبديا

وفى التراث الأدبي العربي العريق، قرأنا واستمتعنا أيما استمتاع، بل إن البعض منا كان يري أنه من حُسن حظ الشعر أن تلك القصص لم تكتمل وإلا ما جادت قريحة قيس ليلي أو جميل بثينة أو إبراهيم ناجى أو أحمد رامي أو كامل الشناوي.

وليس هذا قسوة على الشعراء أبطال القصص، فمن يعرف طبيعة الشعراء جيدا سيدرك أن الحكمة القائلة (أعذب الشعر أكذبه)هذه المقولة صحيحة .

لهذا فالشعراء العشاق على مر التاريخ لم يكونوا تعساء كما تُصَورهم تلك القصائد النارية، لأن معظمهم لم يكن يعنيه في ملهمته إلا بقاءها مصدرا للإلهام عبر مواقف الفراق والصدود والشوق والوصل وما إلى ذلك مما يفجر الوحي في أعماقه، لأن محبوبه الحقيقي قابع في القصائد، وهو الشعر، ولأن الشعر المغرق في الإبداع لا يتفجر إلا بالمواقف، فالشاعر يخترع الموقف إذا لم يجده، والهدف هو الشعر لا غير .

وتلك الحقيقة تفسر وتريح بال الكثيرين ممن اتهموا بعض الشعراء الكبار بالكذب أو التلون، فالأمر لا يؤخذ بالصدق والكذب، ولو أننا طالعنا صورا فوتوغرافية لمعشوقات أشهر الشعراء لن نجد شيئا يستحق بيتا واحدا من أبيات الغزل شديدة المبالغة أو صفة تستحق أن يُكتب فيها كل هذا الشعر .

وقد جاء في التراث العربي أن (عبد الملك بن مروان) أرسل يطلب رؤية (بثنية) ليري تلك المرأة التي فاقت شهرتها عصره بسبب أشعار (جميل

بـن معمـر)، فصدمتـه هيئتهـا وقـال لهـا:

ما أرى ما يستحق كل شعر جميل

فقالت له ضاحكة:

وأين لك بمثل عينيّ جميل بن معمر لتراني كما يراني هو.

وهنـاك أيضـا قصـة الحـب الشـهيرة للشـاعر الفحـل (أبي العتاهيـة) مـع الجاريـة (عُتْـبة)، فقـد حرصـت عتبـة علـى عـدم الاقتـران بـه رغـم أن زبيـدة زوجـة هـارون الرشـيد عرضـت عليهـا تزويجهـا منـه فقالـت لهـا :

ومن أين لي بمثل شعره بعد الزواج؟!

وهـذا أيضـا يفسـر لنـا تعـدد القصـص والموضوعـات للشـعراء بمـا لا يتناسـب مـع الإخـلاص لـو كان حبـا حقيقيـا، لأن الهـدف ـــ كمـا قلنـا ـــ هـو الشـعر ذاتـه، ولهـذا فمـن المأثـور عـن (كامـل الشـناوي) صاحـب قصيـدة (لا تكـذبي) أنـه كان يحـب مجـددا كل يـوم، و(نـزار قبـاني) كان يحـب كل سـاعة!!

وبالقطـع ليـس معـنى هـذا أن هـذه قاعـدة تخـص هـؤلاء الشـعراء، لأنـه حتمـا مَـرّ بـكل منهـم قصـة حقيقيـة وهـي التـي نكتشـفها مـن سـياق حياتـه وتركيـز قصائـده عـلى موضوعهـا، وأشـهرها قصيـدة (الأطـلال) لإبراهيـم ناجـى، وكذلـك قصـة نـزار قبـاني وزوجتـه بلقيـس، وقـد كتـب فيهـا نـزار قصيـدة طويلـة ورهيبـة سَـمّاها باسـمها (بلقيـس) قالهـا في مؤتمـر شـعري يرثيهـا بعـد وفاتهـا، وهـي قصيـدة رغـم طولهـا إلا أن كل بيـت فيهـا معجـزة أدبيـة.

والمـرء لا يمـل قراءتهـا أبـدا لكونهـا تسـتدر الدمـوع مـن قلـب الصخـر، وقـد فوجـئ نـزار بإحـدى الصحفيـات بعـد إلقائـه للقصيـدة تقـول، والله تمنيـت لـو أنـني كنـت مكانهـا لترثيـني بعشـر هـذه القصيـدة

فـرد قائـلا: **لا تقـولي ذلـك فـإن القصيـدة الـتي أمتعـت سـامعيها أخذتـا قطعـة مـن قلـبي في كل بيـت منهـا**

الخلاصة:

حديثي الآن عن قصة أعتبرها القصة الأكثر استفزازا في تاريخنا الأدبي!

وهي مستفزة لسبب قد يدهشكم، فليست مستفزة لأن صاحبها شاعرا ضعيف اليراع مثلا، بالعكس بل هو شاعر فحل، لأنه كامل الشناوي الرجل الذي تَحَسّر كل نقاد الأدب العربي على عدم اهتمامه بجمع شعره فضاع منه الكثير، وليست مستفزة لأن أحداثها مأساوية مثلا، فكل قصص الحب في الشعر كذلك.

لكن الاستفزاز في بطلة القصة نفسها، فقد ألفنا وتعودنا أن بطلة قصة الحب عندما يخلدها شاعر فهي بالضرورة تكون راقية الحس، تفهم الشعر وتستوعبه وتقدره وتُكبره، بل وتحرص على استفزاز ملكات شاعرها ليكتب المزيد، ولكنى لم أصادف أبدا ملهمة لشاعر تمتلك عقلا لا تميزه عن عقل السائمة ـ عافاكم الله ـ

ليس ذلك لأجل قسوتها على شاعرها مثلا، فالقسوة تكون داعيا للإبداع ولا تأتى إلا ممن تفهم وتدرك معاني ما تسمعه، إنما السبب في كون بطلة القصة ممسوخة العقل تماما، مجردة من أي لون من ألوان الفهم والثقافة حتى تلك التي يتميز بها العوام، فلا يوجد عامي ولو كان أميا لا يستمع بقصيدة مؤثرة أو أغنية بديعة اللحن.

أما أن تكون المُلهمة عبارة عن (بلاص) وسامحوني للكلمة، فهذا بالفعل يستفز كل قارئ، وليسامح الله كامل الشناوي فلست أدرى كيف كتب فيها رائعته (لا تكذبي)

المثير للغيظ أن بطلة القصة مطربة شهيرة جدا، وقد قامت شهرتها على أساس إحساسها العالي ودفء صوتها!! تخيلوا

وقد كتب فيها قصيدة (لا تكذبي) بعد أن شاهدها في لقاء مع تلميذ له ـــ صار فيما بعد هو الآخر أديبا شهيرا ـ وصدمه المشهد فلم يظهر نفسه وذهب مسرعا إلى دار أخبار اليوم ودخل على صديقه الصحفي الشهير (على أمين) وحكي له ما رأى، ثم جلس قليلا وكتب رائعته (لا

تكـذبي)

والقصيـدة لمـن قرأهـا يصـف فيهـا المشـهد بمنتهـى الوضـوح، وقـرأ عـلى أميـن القصيـدة وبقـدر مـا انبهـر بهـا، أخـذه الحـزن والغضـب عـلى حـال صديقـه فاقتـرح عليـه أن يتصـل بتلـك المطربـة الجاحـدة ويُـسمعها القصيـدة في الهاتـف، وكان عـلى أميـن يتوقـع أن تنتحـر المطربـة عندمـا تسـمعها بلا شك ـ وده أقل واجـب صراحـة لأن القصيـدة رهيبة ـ وبالفعل اتصـل كامـل الشـناوي بهـا وقـال لهـا أريـد أن أسـمعك شـيئا، ثـم انطلـق بحـرارة صوتـه يلـقي القصيـدة بـكل كيانـه وانتحـب صوتـه وهـو يقـول:

ماذا أقول لأدمع سفحتها أشواقي إليك.

ماذا أقول لأضلع مزقتها خوفا عليك

ثـم يخبرهـا بـردة فعلـه عندمـا شـاهد خيانتهـا ويطمئنهـا بأنـه ليـس ثائـرا ... فيقـول.

لا تخجلي ... لا تفزعي منى فلست بثائر ...

أنقذتني من زيف أحلامي وغدر مشاعري

ورأيت أنك كنت لي قيدا سألت الله ألا يكسره ... فكسرته.

ثم يختم قائلا ومذكرا إياها بأنها صنيعة شعره ... فيقول

كوني كما تبغين، لكن لن تكوني ...

فأنا صنعتك من هواي ومن جنوني

ولقد برئت من الهوى من الهوى ومن الجنون.

وبعـد أن أنهاهـا كامـل الشـناوي فوجـئ بهـا تقـول لـه في بـرود: حلـوة قـوى يـا كامـل ينفـع أغنيهـا!

وسكت كامل الشناوي عن التعليق!

بعض المعلومات المنتشرة وتحتاج تصحيحا موثقا

****

منذ سبع سنوات كتبت كتابا أو بحثا سيتم جمعه بكتاب[٥] يحتوي على مائة معلومة ثقافية منتشرة ولها صيت، ورغم هذا فبعضها أساطير بكاملها وبعضها الآخر يحتاج تصحيحا،

ولكن لأن المقالات الصحفية أو منشورات الفيس بوك لا تصلح للتفصيل والشرح،

فسأورد لكم على فترات بعض هذه المعلومات وإلى جوارها إشارة لحقيقتها ومصدر الصحة أو دليله «[٦]

أولا:

علامات الساعة وأشراطها تقريبا هو المجال الأعظم الذي تنتشر به الخرافات نظرا لأنه موضوع مشترك بين الأديان السماوية ولهذا يخوض فيه الكثيرون من العلماء .

وقد أورد علماؤنا الكبار قديما وحديثا صحيح أشراط الساعة وأحداثها، لكن مع الأسف يجنح الناس كثيرا لمؤلفات الغرب في هذا المجال رغم كونها تحتوي من الأساطير أكثر من الحقائق، بينما عندنا في السُنة النبوية صحاح الأحاديث في أبواب كاملة ومشروحة ومرتبة،

وأعتقد أن أكمل وأشمل مصدر لها هو كتاب (النهاية في الفتن والملاحم للعلامة ابن كثير)، مع ضرورة التحذير من كتاب تراثي آخر وهو كتاب (أخبار الزمان) للمسعودي لأن المسعودي من الرواة المطعون فيهم ومؤلفاته مليئة بالروايات المكذوبة

(5) ـ صدر الكتاب بالفعل تحت عنوان (معلومات ثقافية خاطئة ومنتشرة) ـ دار حواديت للنشر2021

(6) ـ كل محتويات المقال المذكورة مرجعها إجماع جمهور علماء السنة والحديث عليها، وقد كتب العلماء في هذا الباب كتبا مستقلة أبرزها وأفضلها كتاب (النهاية في الفتن والملاحم) للعلامة ابن كثير

ثانيا:

معركة (هرمجدون) ليست هي نهاية العالم كما يفهمها المتأثرون بكتابات اليهودية، فهذه المعركة أولا هي تسمية يهودية لإحدى الملاحم التي ستقع بيننا وبينهم ولكنها ليست آخر الملاحم ولا حتى تعتبر من ملاحم النهاية، بل هي من العلامات الصغرى وستكون فيها الغلبة للمسلمين وستفنى دولة اليهود من وجه الأرض بعدها، حتى لو ظل بعض اليهود، ولن يحضروا بقية العلامات الصغرى فضلا على العلامات الكبرى كلها.

هرمجدون هي النهاية بالنسبة لهم وليست لنا أو للعالم فكفوا عن ترديد هذا المصطلح لأنه لا يعبر عن واقع الأحداث, فمعركة المسلمين مع اليهود ستكون مع إحياء دولة الإسلام الراشدة التي هي إحدى العلامات الصغرى أيضا وستقوم معها في نفس الوقت دولة الروم في فرعين لها في (روما) وفى القسطنطينية القديمة (اسطنبول), أما روما سيفتحها المسلمون العرب , واسطنبول العاصمة الثانية سيفتحها مسلمو أوربا من الروم أنفسهم ولن يكون في جيشهم من ينتمي للجنس العربي بل سيكون هذا الجيش بأكمله من نسل (العيص بن إسحاق) عليه السلام وهم جنس الروم ..

ثالثا:

ظهور المهدي وهو الحاكم المؤيد من ربه سيكون بعد سقوط الخلافة الراشدة الأخيرة ووقوع فتنة في الحكم بين أبناء الحكام، وظهور المهدي وسائر الملاحم الكبري التي هي قتالنا المشترك مع الروم لعدو آخر مجهول، وغدر الروم الصليبيين بنا ثم معركتنا الفاصلة معهم، كل هذا من أشراط الساعة الصغرى وليس من العلامات الكبرى في شيء. العلامات الكبري هذه شيء مختلف تماما.

رابعا:

العلامات الكبري أضاف لها الناس علامات ليست فيها، وهي علامات محددة بالنص لا يجوز الزيادة أو النقصان وهي سهلة التمييز عن أي علامة أخرى بمقياس بسيط.

وهو أن أي علامة من علامات الساعة الكبري هي معجزة خارقة بتدخل إلهي مباشر لا دور فيها للبشر إطلاقا، وهي بدون ترتيب، ثلاثة خسوف واحد بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بجزيرة العرب، والرابعة الدجال، والخامسة طلوع الشمس من مغربها، والسادسة الدابة المتكلمة، والسابعة نزول عيسى عليه السلام والثامنة خروج يأجوج ومأجوج، والتاسعة ظهور الدخان، والعاشرة وهي آخرهم، النار التي ستقود الناس إلى محشرهم، وبخلاف هؤلاء كل العلامات الباقية تعتبر علامات صغري

خامسا:

علامات الساعة الصغرى كثيرة تربو على المائة علامة أولها بعثة النبي عليه الصلاة والسلام نفسه فظهور نبي آخر الزمان كان أول هذه العلامات،

وهو أول علامة وقعت وتتابعت بعدها علامات وقعت كثيرة يعرفها الناس لانتشارها كان أبرزها النار العظيمة التي ظهرت باليمن وأضاءت حتى تخوم بصري بالشام، وهذه النار وقعت في زمن العلامة ابن كثير وكان سببها النفط المخزون واستمرت فترة طويلة، ويخلط البعض بين هذه النار والنار الأخرى التي ستقود الناس إلى محشرهم، ولكن شتان بين هذه وتلك، فنار الحشر هذه هي آخر العلامات الكبري وقوعا

سادسا:

من استقراء الوضع الحالي، فنحن على مبعدة كبيرة من العلامات الصغرى المؤثرة، فضلا عن الكبرى، وفى نفس الوقت ليس معنى هذا أن تلك العلامات بعيدة.

وتفسير ذلك يرجع لتقارب الزمان، وهو أحد العلامات الصغرى التي يشعر بها سائر الناس، فتقارب الزمان يعنى مرور الوقت بسرعة رهيبة تختلف عن شعورنا بمروره في الأزمنة السابقة حتى أننا كشباب حضرنا التسعينات ونحن في مقتبل العمر كنا نظن عام ٢٠٠٠ هذا لن يأتي وأنه بعيد جدا وبعد دخول الألفية الأعوام نشعر بها كالشهور لقصرها، بخلاف أعوام طفولتنا التي كان اليوم فيها يكاد يعادل أسبوع بمقاييسنا الحالية

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

لماذا حَرّم اللّه الغرور حتى على أصحاب العبقرية والمكانة؟!

****

قال:

" ألسنا كبشر من الممكن أن نُوصف أو نسبغ على بعضنا البعض صفات كالكرم والرحمة والحلم مع أنها بعض من صفات الله عز وجل"...

فالجواب:

نعم ولكنها في الله تعالى صفات مطلقة بينما في البشر صفات نسبية ممنوحة من جلاله سبحانه وتعالي

فقال. وما دام الأمر كذلك لماذا حرم الله علينا صفة الكِبْر نهائيا ولماذا لم يمنحنا جزء منها لنصف بها العباقرة من البشر باعتبارهم يتمتعون بالتفرد والتميز".

والجواب.

الأمر بسيط، هل لك أن تخبرني لماذا لم يحصل البشر على أي منحة من صفة الله كخالق من العدم، واقتصر الأمر على الخلق الإبداعي فقط

فقال السائل: « لأن البشر لا تستطيع الخلق أبدا" .

فكان الجواب:

"أي أن صفة الخلق مطلقة لله تعالى وحده, متفردة, ومن المستحيل أن يستطيع مخلوق مهما علا علمه أن يخلق بعوضة أو حتى عضوا حيا من أي نوع وإنما تقتصر صفة الخلق فيه على مفهوم الصنع وحده باستخدام معطيات ومواد موجودة في بيئته هي أساسا من خلق الله ونعمه

وبالمثل صفة الكِـبر.

وقبـل أن تقـول لي أن العبقريـات لهـا بعـض الحـق أن تغتـر وتعتـز بمـا لهـا مـن تفـرد بيـن النـاس سـأقول لـك تعـالى لنعـرف مـا هـو الكبـر ولمـاذا يقصـم الله مـن يشـاركه تلـك الصفـة مـن عبـاده لأنـه هـو وحـده المتكبـر

فالكبـر معنـاه ببسـاطة هـو أن تمتلـك أمـرك في موهبتـك فـلا يكـون لأي كائـن أو جهـة فضـل عليـك في موهبتـك ووجودهـا عنـدك، وهـذا مسـتحيل لأن المواهـب كلهـا إنمـا هي موهبـة أي نعمـة مـن الله تعـالى للعبد وليسـت مـن عنـده إطلاقـا وبالتـالي فليـس لـه الحـق بالغـرور أو الكبـر بهـا لأنهـا ليسـت مـن خالـص قدراتـه، ومهمتـه فيهـا هي اسـتخدام مـا أتـاه الله إيـاه،

كذلـك الكبـر يصبـح صفـة مقبولـة إذا تحقـق فيـك شـرط هـام وهـو أن تـأتى بـشيء لا يسـتطيع غيـرك أن يـأتي بـه كمـا لا يسـتطيع غيـرك أن يضيـف عليـه في المطلـق . وهـذا مسـتحيل أيضـا

فأيـن هـو المخلـوق الـذي أتى بمـا لـم يـأت بـه غيـره في الدنيـا ولـم يضـف إليـه أحـد بعـده، ثـم أيـن هـو المخلـوق الـذي تفـرد بأمـره فـلا يوجـد لأحـد فضـل عليـه وهـو في الأصـل مخلـوق وطبيعـة المخلـوق تركـن بالفضـل لخالقـه، لهـذا جعـل الله الكبريـاء مـن صفاتـه المطلقـة التـي لا ينـال مخلـوق جـزء منهـا أو شـبيها لهـا

الناس معك على ثلاثة أصناف

****

إذا كنت إنسانا مسلما خلوقا ملتزما بمبادئ المعاملة الحسنة والظن الحسن، فأنت في الدنيا ستمر بثلاثة أصناف من الناس وتكون معهم بثلاثة أحوال.

الصنف الأول:

وهم كالرحيق للزهرة اليانعة، مجالستهم غنيمة، وتجد منهم دائما من الخصال والعلم والأدب ما يحفز في نفسك علو الهمة وسمو النفس، لهذا فهم معك كالرحيق للزهرة فالرحيق حلو في سائر صفاته وكذلك ينتج في نفسك أحلى ما فيها، كالزهرة التي يأتيها رحيقها العذب فتأتى بأينع الثمر، وأمثال هؤلاء تحرص على مجالستهم كحرصك على الحياة.

الصنف الثاني:

وهم ـ عافاكم الله ـ كالسماد الطبيعي بالنسبة للأرض الطيبة، فرغم أن السماد مادته الأصلية قبيحة المنظر والرائحة، إلا أنها ضرورية للأرض الطيبة كي تُخرج أحلى الثمار، وهذا الصنف من الناس هم من يصادفوك إن كنت ملتزما بأخلاقك وثوابتها فيواجهوك بكل قبيح لتفعل معهم المثل، لكنك تتمسك بمبادئك وهدى النبوة، فلا ترد على الإساءة أبدا بمثلها، بل ترد بأحسن الرد تأسيا بهدى النبوة، وتكون كما قال السلف، إن عصوا فينا الله فلا نقابلهم إلا بأن نطيع الله فيهم

فهذا الصنف من الناس رغم قبيح صفاتهم إلا أنه لولا وجودهم في حياتك لما اختبر الله قدرتك على تطبيق دينك، ولولاهم ما كتبك الله تعالى في الصابرين الصادقين، وهؤلاء تحرص على تفاديهم، لكن إن واجهوك فتمسك بمبادئك

الصنف الثالث:

وهـم بالنسـبة للإنسـان كالسـماد الكيمـاوي بالنسـبة للـزروع , فرغـم فائـدة السـماد الكيمـاوي في قتـل الآفـات والحشـرات إلا أن خطورتـه عـلى الـزروع والثمـار تكمـن في تقليـل جودتها وأحيانـا في إفسـاد معظـم ثمرتها , فهـم ليسـوا برفـاق شـر لـك في الظاهـر بـل رفـاق خيـر وشـهامة لكنهـم لا يتسـمون بالأخـلاق ولهـذا تراهـم يقفـون معـك في أزماتـك ويدافعـون عنـك في قضاياك ضـد خصومـك ولكـن بنفـس أسـاليب وبلطجـة الخصـوم , وهـم إن ردوا عنـك بعـض الشـر فقـد نالـك منهـم شـر أعظـم يتمثـل في أنـك سـتحمل وزر أفعالهـم الـتي كانـت لصالحـك ووزر سـكوتك عـن أخلاقهـم السـيئة بسـبب شـعورك بالحـرج أمامهـم لأنهـم إنمـا يفعلـون ذلـك دفاعـا عنـك ..

وأمثـال هـؤلاء لا تعاديهـم ولا تصاحبهـم، بـل تتعامـل مـع الجانـب الحسـن فيهـم وهـو جانـب المـروءة وحـب الأصدقـاء، وتحـرص عـلى ألا تشـركهم في خصوماتـك مهمـا كان إخلاصهـم لـك وتفانيهـم في صحبتـك لأنهـم يفسـدون مـن حيـث أرادوا الإصـلاح.

الثمرة الوحيدة في الدنيا التي تساوى ثمرات الجنة

****

من المعروف طبعا أن الجنة ـ رزقنا الله وإياكم فضلها ـ بها ثمار بنفس مسميات ثمار ونِعم الدنيا، ولكن ما أبعد الفارق الشاسع بين ثمرات الدنيا والجنة، إذا لا مجال للمقارنة بينهما والتشابه الوحيد هو تشابه المسميات لا أكثر.

فكافة متع ونعم الجنة تنطبق عليها القاعدة النبوية (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)،

ودلالة الحديث خطيرة في الواقع، لا سيما في الجزء الأخير، فكون نعيم الجنة لم ولن يخطر على قلب بشر فهذا معناه ببساطة أن حدود خيال الإنسان ـ مهما بلغ ـ لن يصل لمجرد تشابه مع الصورة الحقيقية لطبيعة الجنة، هذا رغم أن خيال الإنسان كما نعلم حدوده بالنسبة لنا نحن البشر غير معلومة فكل عصر يأتي خيالٌ يضرب خيالات السابقين، وما كان يظنه السابقون من الأساطير والسحر أصبح اليوم من بديهيات الحياة.

ولو ضربنا مثلا بسيطا بعلم الفلك فلك أن تتخيل أن علماء الفلك منذ قرون معدودة كانوا يتصورن أن الكواكب السبعة التي اكتشفوها لمجموعتنا الشمسية وقتها هي ذاتها السماوات السبع!، وتخيل كم يبدو هذا التصور ساذجا بعد ما علمناه من اتساع السماء الدنيا على نحو يجعل مجرتنا ـ لا المجموعة الشمسية كقطرة الماء بالنسبة لمحيطات الأرض

لكن ورغم هذا،

هناك نعمة واحدة أنزلها الله تعالى على البشر وكرمهم بها وهي مماثلة تقريبا في متعتها لما عليه نفس النعمة في الجنة للمؤمنين، ألا وهي نعمة العلم، وبالتحديد كل علم يوصلك إلى الله تعالى أيا كان.

وهـذا مـن ضمـن فرائـد وفضائـل العلـم التـي لا نسـتطيع إحصائهـا، ولعلهـا توضـح مقـدار مـا أثنـى القـرآن والسـنة عـلى العلـم والعلمـاء وكيـف قرنهـم الله تعـالى بذاتـه العليـة وبملائكتـه وأنبيائـه، في قولـه تعـالى.

[شَـهِدَ اللهُ أَنَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ وَالمَلَائِكَـةُ وَأُولُـو العِلْـمِ قَائِمًـا بِالقِسْـطِ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ العَزِيـزُ الحَكِيمُ]

{آل عمران:١٨}

ومـن يتتبـع سـيرة العلمـاء الربانييـن في تاريـخ الأمـم يعلـم يقينـا كيـف تمتعـوا بالعلـم والفضـول البحـثي الـذي لا يتوقـف، وكيـف أن متعتـه تَجَـذّرت في نفوسـهم حـتى قـال بعضهـم

(نحن في نعمة لو علمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف)

والقصـص المأثـورة عـن مـدى تَمَكّـن الشـغف العلمـي مـن العلمـاء منتشـرة ومشـهورة حـتى أن غالبيتهـم يأتـون بأفعـال لا يتصورهـا مجتمعهـم، ومنهـم كثيـرون جنـوا عـلى حياتهـم لمجـرد إشـباع فضولهـم العلمـي، بـل إن الفضـول العلمـي وصحبـة الكتـب والمعامـل فعلـت بهـم مـا لـم يفعلـه شيء ببشـري مماثـل، ألا وهـو إشـغاله عـن كافـة متـع الدنيـا الـتي أذلـت ناصيـة الأباطـرة،

فمـا اسـتبدل واحـد منهـم أو حـتى فكـر مـرة واحـدة في اسـتبدال مـا عليـه مـن النعمـة بـشيء مـن فتـن المـال أو حـتى فتنـة الملـك والحكـم،

بـل إن الـشيء الفطـري الغريـزي المتمثـل في عاطفـة الأبـوة نحـو الأولاد والعائلـة كان عنـد العلمـاء يقـع في المرتبـة الثانيـة،

وتجـد معظـم حياتهـم مرهونـة لصومعتهـم المعهـودة، ولهـذا تعـاني زوجـات العلمـاء أكثـر مـن معانـاة زوجـات المحاربيـن والحـكام،

وهـذا الإمـام الشـافعي رضي الله عنـه عندمـا تـزوج صـارح زوجتـه بـأن حقهـا فيـه هـو ربـع وقتـه لا أكثـر وعليهـا أن تعتبـر نفسـها زوجـة مـن أربـع زوجـات أمـا الثـلاث الباقيـات فتتلخـص في تفرغـه لطلـب العلـم ولـم يقـف الأمـر

عند هذا الحد،

لأن العلم كدافع نجح في إخراج نفسه وفرض سطوته على علماء استبد بهم المرض والعجز الذي يقعد غيرهم من البشر، ورأينا أمثلة لعلماء فطاحل عانوا من كف البصر وأحيانا من عجز كلى بالحركة أو من أمراض مقعدة ولم يثبطهم هذا عن طلب العلم وشغل وقتهم به أيضا.

فالخاسر فعلا، من لم يمنح نفسه الفرصة لينال طرفا من هذا الأمر حتى لو كان الشيء القليل، فالعلم جليس الوحدة المؤنس، وشرف الدنيا وعز الآخرة، وهو كنعمة من الله تعتبر كشهر رمضان، هذا الشهر الكريم، فالعلم كريم جدا على من أعطاه بعضا من وقته، فإن أخلصت له وأعطيت ساعة واحدة من اليوم أفادك بها فائدة تستهلك العمر بأكمله، ولهذا جعله الله صفة الملائكة والأنبياء والخلصاء

الفارق بين الشرح والتفسير، وبين الفهم والفقه

****

لغة القرآن التي لن أمَل من القول بأنها كائن حي ولغة بها تدخل إلهي مباشر بغناها الباذخ الذي خسرنا معظمه في عصرنا الحالي من كثرة الغزو الفكري

والحجة المعهودة في ذلك هي ما فعله الاحتلال الأجنبي عندما جعل سوق العمل لا يحتاج اللغة العربية في شيء، وهي وإن كانت حجة تصلح لسوق العمل في الدنيا فماذا عن سوق الآخرة، بل وماذا عن تاريخنا وحضارتنا وآدابنا التي صارت أشبه بالطلاسم للأجيال المعاصرة!

ما علينا.

تعلمنا من كبار علمائنا أن اللغة العربية رغم اتساع المترادفات فيها بشكل مذهل، إلا أنه لا توجد كلمتان في اللغة متطابقتان تماما في المعنى، ولابد من اختلاف مرحلي فيما بينهما،

من ذلك مثلا الفارق بين الشرح والتفسير، وبين الفهم والفقه

فالشرح والتفسير رغم أنهما يعالجان نفس المعنى وهو حسن الاستيعاب والإدراك إلا أن كل منهما له معناه الدقيق،

فالشرح أعم وأكثر إجمالا وأعلى رتبة من التفسير، فالمعلم إذا قام بتفسير نظرية فمعناها أنه فك رموزها وطلاسمها للطلبة، أما إذا شرحها فمعناها أشمل من ذلك فيكون المعلم قد زاد في الإفهام للتلاميذ بمعنى أنه أوصل تفسير النظرية كاملا ومعه التطبيق أيضا، أي أن التفسير يشمل إظهار المعاني والمقاصد والمباني،

لكن الشرح يشمل التفسير الكامل للنظرية وأهدافها فضلا على شيء آخر وهو إفهام التلميذ طريقة التطبيق العمل للنظرية على مسألة يحلها الطالب بنفسه اعتمادا على حسن استيعابه.

ولذلك السبب بالتحديد، لم يستخدم العلماء إطلاقا لفظ (الشرح) مع القرآن الكريم، بل استخدموا لفظ (التفسير)، ولم يحدث أن جرؤ عالم واحد من علماء القرآن مهما بلغ اتساع علمه على أن يصف كتابه في بيان القرآن بغير لفظ التفسير مهما كان هذا الكتاب ضخما وموسوعيا

بل ولا يستطيع جيل كامل من العلماء أن يصنف كتابا موسوعيا بجهد مشترك يستعينون فيه بجهود السابقين ثم يجرءون على وصف كتابهم هذا بشرح القرآن

لماذا؟!

لأن القرآن الكريم في مُجمله لا يمكن أن يحيط بمقاصده كلها عالم أو أجيال من العلماء يزعمون أنهم استوفوا كل محتوى القرآن شرحا بحيث لا يستطيع غيرهم أن يضيف إليه شيئا جديدا،

بل ولا يستطيع عالم أن يفعل ذلك حتى لو اقتصر في تفسيره على مجال واحد من إعجاز القرآن كأن يأتي عالم فيختص الإعجاز اللغوي فقط بالتفسير، بحيث يشمله كله، فهذا لم يحدث رغم أن قدرات العرب قديما في اللغة كانت أوسع من المحيط، ومع هذا لا زال علماء اللغة إلى اليوم يضيفون في التفسير اللغوي أشياء غير مسبوقة، وكمثال فقط إضافات الدكتور فاضل السامرائي والدكتور الكبيسي ومن قبلهم الشيخ الشعراوي

أما الفارق بين الفهم والفقة ،

فهما كلمتان تعالجان نفس المعنى حيث أن الفقه لغةً ليس هو علم الفقه المعروف في الشريعة، فهذا معنى كلمة فقه في الاصطلاح فقط أما في اللغة فهي مرادف للفهم.

والفهم أوسع وأشمل من الفقه، حيث يمثل الفقه الدرجة الأدنى من الفهم، ويستطيع الإنسان أن يفقه أي شيء مكتوب مثلا ولا يلزم من ذلك أن يفهمه بالضرورة، لأن الفهم أعلى درجات الفقه

مثلا يستطيع أي عربي أن يقرأ كتابا ذو لغة عالية وبليغة ويعرف معنى ومقصد كل كلمة في الكتاب ومع هذا لا يفهم من محتوى الكتاب شيئا لأنه كتاب في الفلسفة مثلا أو علم تخصصي عال، لكنه إن قرأ الكتاب واستوعب معاني الألفاظ مع مقصود الكاتب فهو هنا بلغ درجة الفهم

لذلك عبر القرآن عن الفارق بينهما في أكثر من موضع فقال تعالى في القضية التي جاءت لنبيه داوود وابنه سليمان عليهما السلام ونجح سليمان في الاستدراك على والده وحكم بالحكم الأصح، هنا قال الله عز وجل

([فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا]

{الأنبياء:٧٩}

فرغم أن داوود فَقِه القضية وحكم بمقتضي استيعابه وكان حكمه صحيحا وفق النص، إلا أن سليمان كان أكثر استيعابا وحكم بحكم أصح من حكم والده، فالمفاضلة بينهما لم تكن بين خطأ وصواب بل بين صائب وأصوب

كذلك قال قوم شعيب عليه السلام له عندما دعاهم للتوحيد ردوا عليه قائلين:

[قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ]

{هود:٩١}

فشعيب هنا كان يتكلم بلغة قومه قطعا ولكنهم ما فقهوا أو فهموا، فقد دعاهم إلى شيء غير مألوف في عرفهم الذي عم فيه الشرك، فكان كلامه بالنسبة لهم على ثلاث مراتب،

أولها : مرتبة المعرفة (وهي أدنى درجات الاستيعاب)، أي أنهم فهموا لغة الكلام وحسب،

وثانيهما: درجة الفقه حيث فقهوا مفاهيم ألفاظه وعجزوا عن إدراك وفهم معناها

والثالثة وهي الفهم لم يبلغوها قط، فقالوا (لا نفقه كثيرا من قولك).

ولهذا تعتبر درجات العلم هي (المعرفة ثم الفقه ثم الفهم)، فالمعرفة للعوام أو المبتدئين، والفقه لمن بلغ رتبة التخصص ففقه علم من سبقوه وطبق بناء على ما علموه، والفهم لمن بلغ كمال الاستيعاب فلم يكتف فقط بحسن التطبيق بل تعداه للابتكار والإبداع فأتى بما يضيف لعلم السابقين

كيف تخدم الأقصى من بيتك؟!

****

أسـهل شيء يمكـن ممارسـته مـع أي كارثـة تحيـق بالعالـم العـربي، هـو المزايـدة!

والمزايدة والمعايرة طبع عربي أصيل بالفطرة منذ الجاهلية الأولى،

وجـاء الإسـلام فحـرر العـرب منهـا حـتى دار الزمـان دورتـه فعـادت مـرة أخـرى، ويكـفي في عالمنـا وكافـة بلادنـا مـن المحيـط إلى الخليـج أننـا منـذ أربعيـن عامـا نتفنـن في اسـتغلال أي حـدث جسـيم لمحاولـة النصـر في معركـة سياسـية خرقـاء أو لتفريـغ حقـد مريـض!

رغـم أننـا جربنـا معـنى الإتحـاد الحقيـقي لأول مـرة في حـرب أكتوبـر إلا أننـا كعادتنـا لـم نسـتمر

ومـن يطالـع وثائـق تلـك الفتـرة ـــ بالـذات الـتي أفـرج عنهـا بعـد عـام ٢٠٠٢م ـــ يـدرك جيـدا أن الولايـات المتحـدة لـم تذهلهـا الحـرب بقـدر مـا أذهلهـا مبـدأ اجتمـاع العـرب ـ بـكل متناقضـات حكامهـم في تلـك الفتـرة ـ عـلى قـرار شـجاع وهـو اعتبـار المعركـة معركـة أمـة، ووفقـا لمحضـر اجتمـاع مجلـس الأمـن القومـي الأمريـكي قـال كيسـنجر:

(ليس مهما عندنا الآن إلا ضمان عـدم تكرار لحظـة التوحـد هـذى تحـت أي ظـرف مـن الظـروف)

فيـا مـن تريـد خدمـة الأقـصى بحـق وبتحـرك إيجـابي بالفعـل، يمكنـك مهمـا كان مركـزك أو سـنك أو وظيفتـك أن تفعـل ذلـك بسـهولة، وبـدلا مـن العويـل افعـل أحـد هـذه الأشـياء:

أولا:

هل تدركون معنى أن يكتب(نيكسون)[٧] الرئيس الأمريكي الأسبق بمذكراته التي خرجت للنور في بداية الثمانينات مُجمل الخطة الأمريكية المزمعة لصنع حالة تَفَرّق عربي قائم على التناحر ووضع الحماية الأمريكية مباشرة في منابع النفط، ثم يتم تنفيذ الخطة بحذافيرها[٨]!

هي فضيحة الأمية الثقافية التي يضمنها الغرب في العرب، فالرجل لم يكلف نفسه إخفاء نواياهم لإدراكه التام أن الحكام العرب لا يقرءون، وحتى لو كان في العرب من يقرأ ويفهم ويحلل فهؤلاء لا مجال لتأثيرهم للأسف

وبالتالي.

فالثقافة مسألة مفصلية وليست رفاهية أو هواية، على الأقل لتعرف ما ينبغي لك أن تعرفه

ثانيا:

لو أنك لا تجيد البحث والتحري ولكنك تجيد استخدام الإنترنت فقمت باستغلال الأحداث الحالية والبحث خلف كل خائن طعن في وجود المسجد الأقصى وأحقية المسلمين فيه، ثم بحثت عمن قاموا بالرد عليه ونشر ردودهم مع توضيح وكشف هذه العمالة المفضوحة، فسيمكن خلق رأى عام جسور يجعل أمثال هؤلاء الخونة يفكرون ألف مرة قبل يعبثوا بعقول وعقائد الناس وجهاد الأقدمين،

فأنت بهذا تنصر تاريخ الأقصى وتنصر حاضره أيضا

(7) ــ نصر بلا حرب (مذكرات ريتشارد نيكسون) ــ ترجمة وإعداد المشير عبد الحليم أبو غزالة ــ مركز الأهرام للترجمة والنشر

(8) ــ جاء شرح الخطة وكيفية تنفيذها في كتاب (حرب الخليج) ــ محمد حسنين هيكل ــ مركز الأهرام للترجمة والنشر

ثالثا:

لـو أنـك قمـت باسـتغلال حالـة الفـوران الحاليـة وعَلّمْـت أبنـاءك أو معارفـك أو جيرانـك وأوضحـت أن العـدو الحقيـقي إنمـا هـو القابـع فـوق فلسـطين، وأن إسـرائيل الـتي تنعـم بسـلام دائـم في الوقـت الـذي تنهـدم فيـه دول عربيـة بأيـدي عربيـة يمثـل الدليـل عـلى مؤامـرة ظاهـرة للعيـان أعمتهـا أحقـاد السياسـة، فلـو أقنعـت واحـدا فقـط بهـذا، فأنـت بهـذا تنصـر الأقصى

رابعا:

مشـكلتنا كعـرب في العمـوم أننـا سـريعو الملـل إلى حـد مذهـل، و(شـيمون بيريـز) وغيـره مـن قـادة المذابـح الإسـرائيلية كتبـوا هـذا في مذكراتهـم «[9]،

ولكـن الأخطـر مـن الملـل أن كل جيـل مـن أجيالنـا يريـد لنفسـه كفاحـا متوجـا بنتيجـة!

وهـذه مصيبـة، فالمفتـرض أن يقـاوم كل جيـل بغـض النظـر عـن إدراك النصـر مـن عدمـه، فلـو أدركـه فبهـا ونعمـت، وإلا فعـلى الأقـل يقـوم بتمهيـد الطريـق لأجيـال أخـرى قادمـة، وهـو مـا قالـه مفكرنـا العظيـم الراحـل (مصطـفي محمـود) عندمـا خصـص مجموعـة مـن كتبـه لتتبـع النشـاط الإسـرائيلي حيـث قـال إن مـا يفعلـه ليـس سـعيا للنصـر فهـو يـدرك أنـه مـن جيـل لـن يـأتي النصـر في عهـده ولكنـه يكتـفي مـن نشـاطه الفكـري هـذا بـأن يقـوم بتعبيـد الطريـق لأجيـال قادمـة قـد تحتـاج كتبـه وعلمـه فتسـتفيد بـه في رحلتهـا نحـو عالـم حـر

(9) ـ قالهـا عـدد كبيـر مـن قـادة إسـرائيل عـلى رأسـهم منسـق أجهـزة الاسـتخبارات الإسـرائيلية جـوردون تومـاس في كتابـه (جواسـيس جدعـون)

الرحمة الكاذبة والعدل الكاذب

****

بالطبع يبدو العنوان غريبا بعض الشيء، فهل يمكن أن تقترن أوصاف الرحمة والعدل والورع مثلا، بالكذب ...

لا سيما وأن المقصود من هذا الوصف ليس مفهوم النفاق، بمعنى أن يظهر الإنسان نفسه أنه رحيم أو عادل وهو ظالم قاس

لا، ليس هذا المقصود قطعا

بل المقصود بالفعل أن يكون الإنسان في قرارة نفسه رحيما وعادلا وورعا، وفى نفس الوقت تكون هذه الأوصاف كاذبة، لا حقيقة فيها، وحل اللغز يكمن في الحكمة الشهيرة (إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده)

وهذه الحكمة من نوادر حكم العرب التي تميزت بالعبقرية، فهي حكمة تثبت عبقريتها كل يوم وفى كافة المجالات تقريبا

فأي شيء ـــ مهما كانت قيمته بين الفضائل ـــ من الممكن أن ينقلب إلى رذيلة هائلة إذا زاد عن حده ...

فالرحمة إذا زادت عن حدها فهي ميوعة وضعف فضلا على كونها تنقلب إلى قسوة وحقارة وظلم إذا مورست في غير موضعها، ومثال ذلك من يتباكى على إعدام القاتل السفاح باعتبارها قسوة ويتناسى الجريمة العظمى التي أفضت به إلى عقوبة القتل وكيف أن الإعدام عندئذ هو قمة الرحمة بالمجتمع كونه يردع السفاحين عن القتل ويحمى المجتمع من تفشي القتل والنهب كظاهرة عامة.

والعدل إذا زاد عن حده انقلب ظلما فاحشا وذلك عندما يساوى الإنسان في حكمه بين كافة الناس دون مراعاة أمر هام جدا اسمه

الظـروف القاهـرة المختلفـة مـن شـخص إلى آخـر، لذلـك صـارت الظـروف القاهـرة في الشـريعة وفي القانـون سـببا لتغيير وصـف الجريمـة أو تخفيـف عقوبتهـا، لأن القـول هنـا بالعـدل المطلـق يسـاوي بيـن مرتكـب الجريمـة اختيـارا، وبيـن مـن ارتكبهـا قهـرا أو تحـت تأثيـر نفـسي.

ليـس هـذا فقـط، بـل دعونـا نصـل إلى أبعـد مـدى ونتكلـم في فضيلـة وعبـادة (التوحيـد)

أظـن أنـه لا يوجـد عـلى وجـه الأرض فضيلـة تعـادل فضيلـة التوحيـد، وعبـادة تعـادل تلـك العبـادة الـتي افترضهـا الله عـلى خلقـه كافـة منـذ بـدء الأكـوان

ومـع هـذا هنـاك مـن يمكـن أن يتطـرف في التوحيـد فينقلـب التوحيـد إلى الشـرك الصريـح، فهنـاك في التاريـخ مـن تطـرف في مفهـوم التوحيـد الـتي يعـنى الاعتمـاد عـلى الله وحـده وعبادتـه وحـده بـدون أي وسـاطة مـن المخلوقـات، فوصـل بـه الأمـر لرفـض الإيمـان بالرسـل والأنبيـاء، وذلـك باعتبارهـم وسـاطة بشـرية بينـه وبيـن خالقـه!!

فهـذا التطـرف هـو بعينـه مـا يفسـر لنـا ظهـور الأفـكار العجيبـة المرضيـة الـتي نسـتمع إليهـا مـن حيـن إلى آخـر مـن شـخصيات تثير غيـظ وحفيظـة أي إنسـان عاقـل، ولعـل أبلـغ الأمثلـة عـلى ذلـك مـن رفـض أن فكـرة ذبـح الحيوانـات وعـاش نباتيـا تحـت تأثيـر مفهـوم الرحمـة والرفـق بالحيـوان !!، وعـلى اعتبـار أن ذبـح الحيوانـات وأكلهـا هـو مـن قبيـل القسـوة والوحشـية والسـادية!

ولسـت أدرى أيـن عقـول أصحـاب الرحمـة الكاذبـة في هـذا القـول، ولمـاذا لـم يطبقـوا هـذا المبـدأ عـلى إطلاقـه ويمـدوا الخـط عـلى اسـتقامته

فَـهُم بموجـب قولهـم هـذا أشـخاص نباتيـون أي أنهـم يأكلـون ممـا تنبـت الأرض، والنباتـات هي مخلوقـات حيـة بالطبـع، ومـع هـذا فهـم يقبلـون بقطعهـا وإنهـاء حياتهـا والاسـتفادة بثمارهـا وأعوادهـا دون أن تنتابهـم تلـك الرحمـة بهـذه النباتـات المسـكينة الـتي يسـتخدمونها كطعـام وكعطـور

وألوان وما إلى ذلك من أنواع الرفاهية التي تعتمد على قتل النباتات،

فلماذا لم يقولوا عندئذ أن الرحمة تقتضي عدم بالزروع والثمار والأزهار؟!

وقد تمادى أصحاب الرحمة الكاذبة فوجدناهم يزايدون على الله تعالى بجلاله وسلطانه ويأخذون مكانه، فيرفضون مبدأ وجود النار ـ نعوذ بالله منها ومن أهلها ـ تحت مبدأ أن هذا العذاب الرهيب لا يتناسب أبدا مع جرائم الدنيا مهما بلغت باعتباره عذابا دائما ومستمرا!!

فهؤلاء الناس المغيبة عقولهم وقلوبهم يزايدون على أنفسهم قبل أن يزايدوا على الله، لأنهم لو تعرضوا مثلا لجريمة قتل أو اغتصاب أو سرقة تخص أهلهم ستجدهم أول المنادين بحرق المجرمين الذين أحرقوا قلوبهم!!

وسبحان الله العلى العظيم الذي قال في محكم كتابه

[وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ]

{المؤمنون:٧١}

الفرصة الذهبية التي يضيعها طلاب الحقوق على أنفسهم

****

كلامي هنا موجها لفئة محددة

تلك الفئة من الشباب الذين موهبة القراءة والمطالعة والمحبين للمعارف بكل أشكالها وأولئك الذين يبحثون ويلهثون وراء معارف الشريعة والتاريخ الإسلامي والفلسفة وتاريخ الأمم السابقة والسياسة الدولية، وما شاكل ذلك من أنواع تلك الثقافات التي تحظى بشعبية جارفة بين عشاق الثقافة.

وسواء كانوا من طلبة الثانوية أو من طلبة كلية الحقوق الذين التحقوا بها بشكل تقليدي كما هو حال سائر الكليات بناء على التنسيق وبرغبة روتينية، أقول لهم ...

أدركوا الفرصة التي أمامكم قبل أن تضيع

فبعد أن تساوت سائر الشهادات في سوق العمل، وأصبحت الدراسة ليست عاملا مؤثرا أصلا في المستقبل العملي بعد التخرج، فلماذا تضيعون فرصة ذهبية على عقولكم وقناعاتكم بل ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أيضا، عندما تنتهجون النهج الروتيني في دراسة الحقوق، تلك الكلية التي هانت وضاع زمانها في عصرنا الحالي لكن فوائدها العملاقة لم تنقص ذرة واحدة

فهل يدرك الشباب المحب للقراءة كمية الاستفادة التي تكفلها له دراسته في الكلية لو أنه درسها بعمق بغرض التعلم لا بغرض التخرج والحصول على مؤهل وفقط.

لو أنني تكلمت عن فضيلة (التفكير العلمي) الذي تمنحه الكلية عبر كتبها في كافة مجالات الحياة لكان هذا كافيا، لأن كلية الحقوق هي أصل العلوم الإنسانية ومحتواها الأعرض، وعلى غير ما يظن الناس فهي ليست كلية تخصصية بالقانون لأن القانون نفسه كعلم وتاريخ ليس مقتصرا على مجال التشريع وحده!

وبشكل مختصر أقول:

أولا:

في نظام الدراسة بالكلية هناك مواد محددة نسميها المواد الرئيسية في الدراسة، وهذه المواد العملاقة تتميز بأنها منهج يدرسه الطالب طيلة الأربع سنوات على نحو متدرج

فلا يكتفي فيه بسنة أو سنتين كما هو الحال مع الفروع المتخصصة في القانون، بل يدرس الطالب هذه المواد بشكل متدرج إجباري ومتعمق للغاية، وأول هذه الأقسام وأكبرها هو (قسم الشريعة الإسلامية) والتي تعتبر أصعب المواد بالنسبة للطلبة في الأغلب الأعم، ويكفي لتعرفوا ثقلها أن الطالب يدرس في السنة الأولى المبادئ العامة، ثم يدرس في السنة الثانية أحكام الزواج والطلاق بشكل تفصيلي على فقه كافة المذاهب

ثم في السنة الثالثة يدرس سائر أحكام المواريث وفى السنة الرابعة يدرس علم أصول الفقه ...

ولكم أن تتخيلوا كيف أن طلاب التعليم المدني منعدمي المعرفة الدينية من الأصل، كيف يمكن أن يصبح حال الواحد منهم عندما يهتم بدراسة مادة الشريعة خلال الأربع سنوات، وبناء على تجربة فإن هذه الدراسة تُخَرّج فقيها مكافئا لخريج الأزهر الذي اعتاد دراسة الشريعة قبل التحاقه بالكلية، أي أن هذه الدراسة تمنحه فرصة عمره ليصبح مُلّما بأحكام دينه بالشكل الذي يستحيل خداعه فيه من أي مدعى سواء من أصحاب الفكر المتطرف أو أصحاب الفكر الفوضوي وهذه الميزة وحدها الآن تكفي أي إنسان عاقل

ثانيا:

يدرس الطالب مادة أخرى أعتبرها ملتحقة بالشريعة الإسلامية وهي مادة فلسفة وتاريخ القانون، وهذه تمنحه إلى جوار الفقه فرصة

دراسة العقيدة الإسلامية بكافة فروعها ملخصة ومرتبة ومكتوبة بشكل حيادي متجرد فيعرف منها الطالب أسماء الفرق الإسلامية ومعتقداتها وأحكام فقهها، وبالتالي لا ينقص طالب الحقوق من معارف الشريعة إلا نوعين من العلوم فقط وهما علوم التفسير وعلوم الحديث، حيث لا مجال لهما بكلية الحقوق التي تختص بفرع المعاملات.

ولكن دراسة الطالب ستمنحه ميزة القدرة على استيعاب تلك العلوم لو أنه درسها في الخارج، لأني نسيت أن أخبركم أن لغة الدراسة في الشريعة تكون مماثلة للغة كتب التراث والأصول فيعتادها الطالب رغم صعوبتها وثقلها

ثالثا:

قسم فلسفة القانون نفسه هو الذي يمنح الطالب ثقافة عالية جدا في مجال معقد، وهو الفلسفة، حيث يدرس الفلسفة اليونانية وتاريخ القانون الروماني وحضارته وكذلك الفلسفة الكلامية في التاريخ الإسلامي، وهذه المعارف يشغف بها كثير من المثقفين لكنهم لا يستطيعون قراءتها ككتب ثقافية بسبب لغتها وأسلوبها الذي يصبح متاحا وميسورا لطالب الحقوق بسبب اعتياده على لغة الفلاسفة كما أنها ستكشف له أنواع الفلسفة وما هي الفلسفة الحقيقية وتلك الزائغة المضلة

رابعا:

القانون المدني وهو أحد المواد الرئيسية أيضا مستمد بكامله في مصر والدول العربية من أحكام الشريعة الإسلامية أي أنه الفرع الوحيد من القانون الذي لم ينتهج خطوات التقنين الغربي، والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي الوحيد لأحكامه، وفيه النذر اليسير من أحكام القانون الغربي التي استعان بها المشرعون المصريون ولكن في مجال الفروع والاجتهاد

أما القانون الدولي فهو القسم الأكثر احتكاكا بالثقافة العامة لأنه سيقدم لك على طبق من ذهب تاريخ العالم المعاصر والصراع

الـدولي وسـيمكنك مـن خلالـه فهـم طبيعـة المنظمـات الدوليـة وأحكامهـا والعلاقـات بيـن الـدول منـذ العصـر الإسـلامي وحـتى العصـر الحديـث وأحـكام الجنسـية والهجـرة إلى غيـر ذلـك مـن معـارف ثقافيـة يشـغف بهـا الكثيـرون ولا يعرفـون لهـا مصـدرا واضحـا في القـراءة

فرسـالتي لطالـب الحقـوق، ادرس فيهـا للحصـول عـلى شـهادتك لكـن لا تضيـع عـلى نفسـك فرصـة إدراك الـوعي في مثـل هـذا الوقـت الـذي كثـرت فيـه الفتـن

لا تغتر دوما بحماسة المدافعين!

****

الحرب النفسية واحد من أكثر مجالات علم المخابرات خطورة وتأثيرا.

ومراجع وتاريخ المخابرات في العالم منتشرة منذ زمن طويل ولو أن معظمها كتب غربية إلا أن للمكتبة العربية إسهامات عظيمة ومفيدة للغاية لمن يستهويه القراءة في أبجديات هذا العلم, ولأن التاريخ عامل أساسي في هذا المجال فبعض هذه العمليات المنشورة ـــ بالذات أثناء الحرب العالمية الثانية ـــ يثير الذهول بسبب براعته, ورغم أن هذه العمليات جرت منذ زمن بعيد وفى زمن لم يكن مألوفا فيه التقدم في هذا العلم إلا أنها لا زالت لليوم علامة فارقة على عبقرية وتأثير فهم سيكولوجية الشعوب وكيف أن اللعب على أوتار الحماسة في الناس يجعلهم يتشربون ما يقنعهم به عدوهم أو السلطة المستبدة على حد سواء

والمخابرات البريطانية لها السبق الأضخم في تلك العمليات الخبيثة، واستغلوا قصة الحماسة والجعجعة لتحطيم معنويات جنود الجيش الألماني بطريقة بالغة الذكاء،

والفكرة من البداية كانت فكرة رجل المخابرات (آيان فلمنج) «[10] ـ وهو نفسه الأديب البريطاني مبتكر شخصية (جيمس بوند) فيما بعد ـ وكان عبقريا بالفطرة ولم يدرس في أي جامعة بانتظام بل كان فاشلا في أي مجال به تقييد لحريته.

والتقطته أعين مدير المخابرات البحرية البريطانية وقام بتجنيده على مسئوليته الشخصية وطلب منه أن يبدع في الأفكار الخلاقة التي يفيد بها الجهاز، وجاءه فلمنج بأول فكرة وهي فكرة (الإذاعة الموجهة)

(10) ـ وردت قصته المفصلة في سلسلة حرب الجواسيس لأستاذنا الكبير نبيل فاروق

وتلخصت فكرته في أن تقوم مجموعة فلمنج بإنشاء إذاعة موجهة لألمانيا ــ كانت الإذاعة في مقام فضاء الإنترنت اليوم ــ ويقدمون لأنفسهم للألمان باعتبارهم شباب أوربي متحمس يحب هتلر لهذا قاموا بإنشاء تلك الإذاعة لخدمة الرايخ الثالث، ويقوم من خلالها فلمنج بالتمجيد الساحق لشخصية هتلر وكبار جنرالاته ودعوة شعوب أوربا كلهم لإتباعه وفى نفس الوقت تقوم الإذاعة بإذاعة شائعات سلبية وعنيفة تجاه تشرشل والجيش البريطاني والسخرية منهم والتحقير من شأنهم.

وبعد فترة طويلة وعندما تجتذب تلك الإذاعة آذان الجيش والشعب والألماني خلال شهور طويلة، تبدأ مهمتها الحقيقية والتي تتلخص في دس السم في العسل، فإلى جوار بيانات التأييد لألمانيا وعظمتها يبدأ نوع من الانتقاد الخفيف يتعالى شيئا فشيئا لجنرالات وقادة الألمان المشاهير ومهاجمتهم باعتبارهم لا يستحقون شرف الانتماء لألمانيا، مع مجموعة منتقاة من الفضائح التي نجحت المخابرات البريطانية في الحصول عليها وتسريبها لفلمنج،

وبالفعل نفذ فلمنج خطته بصبر ودأب النملة وأجاد كثيرا في تحقير البريطانيين للدرجة التي أثارت غيظ الحكومة البريطانية فطالبوه بتخفيف لهجته قليلا، لكنه أصر على موقفه باعتبار أن ما يقوم به هو الوسيلة الوحيدة لجذب الألمان، وتحقق ما أراده، وكان النجاح ساحقا

فالإذاعة كانت الإذاعة المفضلة للجيش الألماني حتى كبار قادته وابتلعوا الطعم بالفعل واقتنعوا أنهم شباب أوربي متحمس للنازية، وكانوا يشجعون جنودهم على سماعها للسخرية من البريطانيين، وعندما بدأت الإذاعة في بث شائعاتها حول قادة الألمان أنفسهم كان التأثير مدمرا للدرجة التي لم يتوقعها فلمنج نفسه، وتسببت بالفعل في انقلاب بعض الفرق واستسلام البعض الآخر في معاركه مع الحلفاء وعدم السماع لأوامر هتلر بالصمود حتى آخر طلقة

والشاهد من تلك التجربة أن المبالغة في الحماسة من بعض الناس ليست دائما دليلا على صدق ونبل الهدف، فالمهم هو موقف المتحمس نفسه من القضية التي يدافع عنها، وهل هو موقف المدافع عن شأن عام أم المدافع عن مصلحة شخصية

ورحم الله الشافعي عندما قال:

لو رأيت الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقه حتى ترى موقفه من أوامر الله ونواهيه

فالجعجعة والحماسة المبالغ فيها للقضايا الوطنية والدينية ليست دليلا في حد ذاتها على صدق المتعصب، بل ربما كان دليلا على سوء قصده

مما علمني أساتذتي.

****

العالم والمفكر بل وحتى طالب العلم ملزم بإبراز الحق من الباطل وأن يفتى الناس بحدود الحرام الصريح والحلال الصحيح، لكن ليس من حقه أن يفتى الناس بالورع الذي يلتزم به.

بمعنى أنك إن كنت من أهل العلم ولجأ لك طالب فتوى فقل له الحدود الصريحة، ولا تُلزمه بما تُلزم به أنت نفسك من المبادئ التي تجعلك ترفض الكثير من المباح مخافة الشبهة أو مراعاة لوضعك باعتبارك من أهل العلم الذين يجوز لغيرهم ما لا يجوز لهم، وعليه فأنت تفتيهم بالرُخَص المتوافرة ولو لم تكن أنت عاملا بها

عندما تختط لنفسك منظومة أخلاقية معينة تتوافر فيها الأساسيات، فلا تتعجل في إلزام نفسك بالفرعيات إلا وأنت واثق تمام الثقة من قدرتك على الصمود في تطبيقها، فما أيسر أن يلتزم الإنسان بشيء لم يختبره الله فيه، فيقول لو كان لدى المال ما بذّرت فيه ويقول لو كان لدى العلم لبذلته للناس بلا مقابل، فاعلم أنك إن ألزمت نفسك ـ ولو بمجرد النية ـ فهو أمر أشبه بالنذر أنت ملزم به كالفروض المفروضة رغم أنه ليس فرضا على غيرك

عندما قال النبي عليه السلام **(من ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه)**

لم يكن مقصود الحديث هنا من ترك الحرام، فالحرام واجب الترك أصلا لكل مسلم

وإنما جاء الحديث بلفظ عام (من ترك شيئا)، ولم يحدد النبي عليه السلام هل هذا الشيء من المباحات أو الشبهات أو حتى الحلال الصريح بل شملها جميعا وجعل تركها بإرادة ورغبة المؤمن الذي ربما يخشى من بعض الحلال أن يوقعه في حرام أو شبهة أو ضعف نفس

هنا يُبَشر النبي عليه السلام هذا الفاعل بأن الله سيعوضه بخير منه، وهذا درس ينبغي أن يفهمه كل من يلزم نفسه بورع معين تجاه مسألة محددة يتهافت الناس في طلبها بينما يرفضها هو لو جاءت تحت قدميه، فعليه ساعتها أن يلتزم بما انتواه ولا يلقي بالا لانتقاد الناس

عندما قال الله عز وجل

[كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]

{المطَّففين:١٤}

كان المعنى مُشْكلا ـ ولا زال ـ عند البعض ممن لا يتصورون أن هناك من لا يفرق بين الحلال وبين الحرام الصريح الواضح

ولهذا عندما يستمعون لمرتكبي الحرام الصريح وهم يمدحون أفعالهم ويسمونها بغير مسمياتها، يتصور المستمعون أن هؤلاء الناس يتكلمون بهذا الكلام خداعا أو محاولة لتجميل صورتهم، لكن الحقيقة المرعبة أن معظم هؤلاء المتكلمين يصدقون أنفسهم فعلا، بمعنى أنهم يتصورون أنهم على الحق المبين الذي لا غبار فيه، وهذا هو معنى الآية (ران على قلوبهم) أي أعمى قلوبهم عن رؤية فداحة ما تورطوا فيه

نسأل الله العفو والعافية

أعظم دروس أبي ذر وبلال رضي الله عنهما.

****

ماذا تفعل إذا تم وضعك في موقف بالغ الحرج بين أمانة الكلمة والضمير، وبين البِر الواجب بين الأصدقاء ومراعاة صنائع المعروف؟!

المقارنة هنا بالغة القسوة لأنها ليست تفاضلا بين فضيلة ورذيلة، بل بين فضيلتين، وكثير من أهل الفضل وقعوا في هذا المأزق واحتاروا بين أن يتخذ الإنسان جانب الضمير اليقظ فينطق بما يراه حقا ولا يداهن فيه، وبين أن يسكت أو يجامل مراعاة لفضيلة القربى أو التقدير لأهل الفضل إذا تعارض ما يجب قوله مع موقفهم هم

والواقع أن هذا الأمر حسمه الصحابيان الملهمان (أبو ذر الغفاري) و(بلال بن رباح) رضي الله عنهما، في موقفين من أبلغ المواقف الإنسانية وهما:

الأول:

منهما موقف بلال عندما توفي النبي عليه السلام فقرر بلال الهجرة إلى الشام وامتنع عن الآذان من بعده، فشق ذلك على الصحابة وقاموا إلى أبي بكر يرجونه أن يُثنى بلالا عن قراره بالسفر للشام للجهاد والبقاء في المدينة، ومعروف بالطبع أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي أنقذ بلال من التعذيب أيام المشركين واشتراه وأعتقه، فلما قال أبو بكر لبلال:

(ابق معنا)

نظر إليه بلال بعين دامعة ثم قال:

إن كنت قد أعتقتني لك فسأبقي معك، وإن كنت أعتقتني لله. فدعني ومن أعتقتني لأجله،

فقال له أبو بكر في حرارة: بل لله يا بلال

والموقف الثاني:

كان لأبي ذر مع عثمان رضي الله عنهما بعد توليه الخلافة، وكان أبو ذر شديدا عنيفا في مسألة ادخار المال أو بهرجة الدنيا، ورغم أن الزهد كان طابعا عاما بأيامه إلا أنه كان متشددا في ذلك فقام بالنصح المغلظ للولاة ومنهم معاوية رضي الله عنه فاشتكاه معاوية لعثمان فاستدعاه عثمان يؤنبه عل ذلك، ويرجوه أن يكف عن ذلك ...

فاختار أبو ذر أن يترك المدينة والحضر كله ليعتزل بكوخ له في صحراء منطقة (الربذة)، فرجاه عثمان أن يبقي ولا يرحل قائلا له:

ابق معنا يا أبا ذر تغدو عليك اللقاح عليك وتروح (أي يُرَغبه في معيشة المدينة بدلا من الصحراء القاسية)

فقال أبو ذر: لا حاجة لي في دنياكم!!

هنا فقط أدعوكم لتتأملوا لمن يقول أبو ذر هذا الكلام!!

يقوله لأفضل ثالث صحابي وأزهد الناس في زمانه وفى وجود الكوكبة العظمى من صحابة النبي عليه السلام.

ولم ينقص هذا الموقف من قدر عثمان في قلب أبي ذر، بل ظل كما هو ثالث الراشدين وأزهد الزاهدين، وغاية الأمر أنه كان اختلاف وجهات نظر

والنقطة الهامة وخلاصة الدرس هنا.

أنه إن تعارض ضميرك مع أحد أصحاب الفضل ـ نكرر أصحاب الفضل ـ وشعرت بالحيرة بين ما تؤمن به وما يخالفك فيه، فاجعل الأمر له ليختار هو، بمعنى أنك تبسط رأيك صريحا أمامه، فإن اقتنع به فبها ونعمت وإن لم يقتنع فَـخيّره بين أن تقوله أو تصمت وبهذا تفك الاشتباك بين الواجبين.

وطالما أنه من أصحاب الفضل فلن يعتبر مخالفتك لرأيه موقفا شخصيا، لكن بالقطع لا تغير في رأيك أحدا في أمر أساسي ومفصلي حتى ولو كان من أشد أصحاب الفضل عليك، وفى نفس الوقت احفظ له مكانته

عمالقة من وراء الستار

****

مـن بيـن كل الشـخصيات التاريخيـة والمعاصـرة المؤثـرة هنـاك جنـود مجهولـون مـع بعـض هـذه الشـخصيات نسـتطيع القـول بأنهـم السـبب في بروزهـم أصـلا،

ولكنهـم لـم ينالـوا الشـهرة، هـؤلاء الذيـن يمتهنـون مهنـة صناعـة النجـوم، صناعـة النجـوم الحقيقييـن وليـس كمـا يقـال هـذا اللقـب اليـوم عـلى مـن تعرفـون!

وأنا لا أملك انبهاري بهذا النوع من الشخصيات حقيقة

فهـم لا يتميـزون فقـط بموهبـة وعبقريـة فـذة وهي صناعـة العباقـرة، بـل يتميـزون بصفـة تـكاد تنسـحق وتنمحـي مـن وجـه الأرض اليـوم وهي إنـكار الـذات إلى أقـصي حـد!

يمارسـون عملهـم هـذا ويتخـرج مـن تحـت أيديهـم العشـرات في بعـض الأحيـان، ورغـم ذلـك تجدهـم عازفيـن عـن الشـهرة بـل إن بعضهـم يمقتهـا ويمقـت الظهـور أصلا

الأمثلـة عـلى هـؤلاء كثيـرة في التاريـخ لعـل أبرزهـا مـا يفعلـه الآبـاء والمعلمـون، بالأبنـاء والتلاميـذ، فمثـلا يبـرز عندنـا شـخص مثـل (محمـد الفاتـح)، فاتـح القسـطنطينية، فشـخصيته كفـارس محـارب ومفكـر عبقـري تعـود بالأصـل إلى مـا فعلـه معـه أبـوه السـلطان الأسـطوري (بايزيـد الصاعقـة) والـذي صبـر وتحمـل حـتى رأى نتـاج تعليمـه.

وأيضـا تعـود شـخصية الفاتـح نفسـها إلى أثـر معلمـه وشـيخه (آق شـمس الديـن) الأب الروحـي لـه، فـالأب والأسـتاذ هنـا تمكنـوا مـن صناعـة أعظـم سـلاطين بـني عثمـان عـلى الإطـلاق

العبقرية هنا ليست في ظهور نتاج التربية بأفضل شكل، لكن العبقرية الحقيقية تكمن في أن السلطان بايزيد والشيخ آق شمس الدين تمكنوا من معرفة نبوغ الأمير الشاب محمد الفاتح رغم أن كل الظواهر كانت تؤكد العكس، وأنه أمير فاشل لا يليق بالسلطنة وعندما استخلفه أبوه في حياته أضرب نظام الحكم على نحو دفع الوالد للعودة حاكما مرة أخرى ولكن استمر هو والشيخ يدعمون الشاب حتى تسلم الحكم بصفة رسمية بعد وفاة والده ليحقق أعظم ما تمناه خلفاء المسلمين قاطبة ألا وهو فتح القسطنطينية التي استعصت على كل حاكم سابق للفاتح

ولكي نعلم أعجوبة الإنجاز يكفي أن نعرف أن محمد الفاتح عندما أعلن نيته في فتحها قوبل بالسخرية واتهامات الحماقة وبأن الأمير الشاب لا يعرف عما يتحدث وأن طموحه هو طموح المجانين، لكن الرد على كل هذا كان عمليا من الأمير ومن شيخه

خلاصة القول ثقوا في أولادكم وادعموهم إن قرأتم فيهم الموهبة في أي مجال ولا تستعجلوا النتائج أبدا فربما حققوا لكم ما لم تتخيلوه في أحلامكم،

والتاريخ شاهد على مثل هذا

الفارق بين الشيوخ وبين الدجالين

****

الشيخ هو الذي يدلك على قول النبي عليه السلام إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه أما من يأتي لك بتوقعاته عن الامتحانات أو يعطيك وصفة تجعلك تجيب بلا جهد أو مذاكرة، ده اسمه نصاب أو دجال

الشيخ هو الذي إذا جالسته خرجت من عنده تذكر الله وتزداد منه قربا وتستعيذ به وتستعين به، أما الذي تخرج من عنده فتذكره هو وتترضي عنه هو وتدور حياتك في فلكه، فذلك شيطان وليس شيخا

الشيخ صاحب الكرامات هو الذي يأتي بفرائد العلم وكنوز من القرآن والسنة لم يأت بها غيره وتكون الفكرة الواحدة من عنده بآلاف من عند غيره، أما الذي يطير في الهواء أو يمشي على الماء أو يضرب بعصاه فيأتيك بخبز وشراب، فهذا مهرج في سيرك لا شيخا أو عالما وهم من قال فيهم الشافعي:

(إذا رأيت الواحد منهم يطير أو يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرف موقفه من أمر الله عز وجل)

الشيخ هو من يعلمك أن الله عز وجل هو عالم الغيب والشهادة وهو من عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو كما قال في كتابه العزيز، أما من يأتيك بأخبار يزعم لك أنها من مستقبلك فهذا هو الدجال الذي إن صدق معك مرة سيكذب ألف مرة، وهم من قال الله فيهم:

[وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]

{الأنعام:١٢١}

الشيخ هو الذي يعلمك الزهد بأفعاله لا أقواله، ويعلمك الإيمان بالتطبيق لا بالتعليق، أما من يحضك على الزهد وهو يرفل في الملذات

فهـذا نصـاب في ثيـاب واعـظ كمـا قـال الغـزالي رحمـه الله

الشـيخ هـو مـن يـورث العلـم، ويحـض عليـه، ويكـون ميراثـه مـن المحابـر والأقـلام، أمـا مـن كان ميراثـه مجـرد سـيرة حافلـة بالأكاذيـب والخرافـات يروجهـا عنـه أتباعـه فذلـك ليـس شـيخ علـم بـل شـيخ طائفـة

الشـيخ هـو مـن تتذكـره وتدعـو لـه بالرحمـة فتقـول رحـم الله مـن علمـني وأرشـدني، أمـا مـن تدعـوه هـو وتقـول لـه أعطـني وتسـأله البركـة فليـس هـذا بشـيخ درس بـل شـيخ منصـر

وأخيـرا الشـيخ هـو مـن تقـف ممسـكا بكتبـه ودروسـه تحفـظ عنـه وتحفـظ منـه، وليـس مـن تقـف ممسـكا بضريحـه تسـأله الشـفاعة أو العطيـة

عندما تواجه بالمبادئ عدوا يجهل معنى المبادئ

****

عندما أعادت مصر تنظيم صفوف قواتها المسلحة بعد النكسة،

بإشراف وجهد الفريق (محمد فوزي) والبطل الشهيد ـ كما نحسبه ـ الفريق (عبد المنعم رياض)، الذي كان استشهاده ضربة موجعة ومؤلمة باعتبار كفاءته وإخلاصه وندرة عقليته العسكرية، وانتقمت مجموعة العميد (إبراهيم الرفاعي) لاستشهاده بنسف موقع المدفعية الذي أصاب الشهيد رياض.

ثم توالت عمليات حرب الاستنزاف بضربات مذهلة تسببت في جنون (جولدا مائير) و(موشي ديان) وأباهم الروحي مؤسس إسرائيل (دافيد بن جوريون) الذي كان يتابعهم من معقله في مزرعة (سد بوكير)

وعندما قامت قيامة الأمريكيين المؤيدين لإسرائيل وعلى رأسهم (والت روستو) و(دافيد ألنجتون) أعظم داعميهم في مجلس الأمن القومي الأمريكي وقتها،

وطالبوا إسرائيل بردود عنيفة تتناسب مع فداحة خسائرهم في عملية إيلات ثم عملية الرصيف الحربي وعملية إسقاط الغواصة الألمانية فضلا على عشرات من عمليات المجموعة (٣٩) قتال بقيادة الرفاعي

حاولت إسرائيل أن ترد بعمليات عسكرية مماثلة فكانت خسائرها أفدح وفشلوا تماما في العمليات المباشرة فلجئوا لقصف الطيران على الجبهة فكان أيضا غير مؤثر

وتحت تأثير حقدهم الشديد وسقوطهم في كل اختبارات المواجهة بنظرية رجل لرجل، خلعوا رداء الشرف العسكري واستغلوا ذراعهم الطويلة في الطيران ليضربوا في العمق المصري بمنتهى الخسة فضربوا مدرسة بحر البقر الابتدائية ليقتلوا الأطفال والمدنيين ثم ضربوا مصانع

أبـو زعبـل ونجـع حمـادي كي يوقفـوا حـرب الاسـتنزاف وتأثيرهـا ويرغمـوا الشـعب عـلى تجـرع مـرارة الانتصـارات الـتي يحققهـا الجنـود في الاسـتنزاف

والعالـم كلـه سـاعتها وقـف مؤيـدا للقضيـة المصريـة وحقهـا في الـرد الـرادع،

ومـا كان أحـد ليلومنـا إذا رددنـا بنفـس الأسـلوب فقصفنـا الأطفـال والمنشـآت بعمليـات نوعيـة داخـل العمـق الإسـرائيلي، وهـذا كان متاحـا جـدا بالمناسـبة لأن المقاومـة الفلسـطينية كانـت تحـت القيـادة المصريـة في ذلـك الوقـت وكان يمكـن للقيـادة أن تكلـف الفدائييـن بإذاقة الإسـرائيليين عمليـات كثيـرة مـن هـذا النـوع

لكن الجيش المصري لم يلجأ لذلك.

وفى سـبيل رده عـلى عمليـة بحـر البقـر كَـلّف مجموعـة العقيـد (محمـد التميمـي) ومجموعـة العميـد (الرفـاعي) بالـرد والانتقـام لأطفالنـا مـن كبـار ضباطهـم وبالفعـل نجـح العقيـد التميمـي في اصطيـاد مجموعـات الإجـازات مـن المجنديـن والضبـاط الإسـرائيليين خلـف خطـوط العـدو في آخـر حـدود سـيناء وعـادوا سـالمين

وربمـا كانـت أخـلاق الفرسـان الـتي تعامـل بهـا الجيـش في وقتهـا أحـد أهـم وأبـرز الأسـباب لتكـون نتيجـة حـرب أكتوبـر سـاحقة في تأثيرهـا، فالله ينصـر أصحـاب القضيـة العادلـة إذا انتقمـوا بمثـل مـا فعـل بهـم عدوهـم فـردوا الغـدر بمثلـه،

لكنـه جـل وعـلا يضمـن النصـر والسـلامة والمـؤازرة التامـة لـكل مـن تحـلى بأخـلاق الفرسـان وصبـر ولـم يوجـه نيرانـه إلا لمـن يحمـل السـلاح أو ناصـر أو سـاعد

وهذه هي الفروسية حقا

لكن الحصاة ... لا زالت في القاع!

****

في مشـهد مـن مسلسـل أجنـبي شـهير يتـوب القاتـل الهمجـي ويثـوب لرشـده، ثـم يتشـارك مـع رفيقـه في القتـال ضـد الظلـم تعويضـا عـن جرائمـه السـابقة، وبعـد توبتـه وأفعـال الخيـر الـتي فعلهـا جلـس مـع رفيقـه عـلى شـاطئ النهـر يسـترجع متألمـا مـا كان يفعلـه في النـاس والنـدم يـكاد يفتـك بـه فحـاول رفيقـه التخفيـف عنـه

فقال البطل لرفيقه وهو يمسك بحصاة ويلقيها في النهر:

إن صفحـتي تعكـرت وانتهـى الأمـر مثلمـا تعكـرت صفحـة النهـر بهـذه الحصـاة

فقال له رفيقه:

لكننا لو انتظرنا قليلا سيصفو الماء من جديد وتذهب عكارته

فرد البطل قائلا:

لكن الحصاة ستظل في القاع يا صديقي.!!

مشـكلتنا الكبـري في تاريـخ ومـاض كل تائـب، ليسـت ماضيـه في حـد ذاتـه، ولكـن آثـار ماضيـه الممتـد للحاضـر والـذي يُمـارس دوره بفعاليـة فيضطـر النـاس للـرد عليـه، وحديـثي هنـا عمـن يلـوم أن بعـض الكـتاب لا زالـوا يـردون عـلى منهـج وأفكار بعـض المفكريـن في تاريخنـا القديـم والمعاصـر ممـن اتبعـوا مناهـج المستشـرقين وكتبـوا في إثـارة الشـبهات واحتـفي بهـم العلمانيـون والغـرب لليـوم،

فبعـض هـؤلاء تـاب عمـا فعلـه وحـاول في أخريـات عمـره أن يصلـح مـا فعـل وبالتـالي انتهـت مشـكلتنا معـه .

لكـن تبـقي المصيبـة في أن أفـكاره تجـد مـن يحييهـا ويذكيهـا، وبالتـالي فمـن غيـر المنطـقي إطلاقـا أن نعيـب عـلى مـن يتنـاول كتابـات هـؤلاء الراحليـن ويكشـف ماضيهـا كلـه وأهدافهـا، لأن حرمـة المـوت لـم تمنـع العلمانييـن مـن إعـادة تجديـد تلـك الكتابـات وطبعهـا والاحتفـاء بهـا، فمـاذا نفعـل؟!

المشـكلة الرئيسـية تكمـن في أن الحصـاة بالفعـل لا زالـت في القـاع ترقـد سـاكنة، لكنهـا تجـد مـن يغـوص عامـدا فيحركهـا لتعكيـر صفحـة النهـر مجـددا وتذكيـر النـاس بمـن ألقاهـا رغـم توبتـه

الصورة والإطار

****

طرح أحد المفكرين سؤالا فلسفيا مؤداه

هل يلزم الإطار قبل الصورة أو يلزم الإطار للصورة أصلا أم لا يمثل لها أهمية؟!

وهل هذه القضية تعتبر قضية جدلية أم لا؟!

الجواب:

الصورة والإطار

ومن المؤكد أنك لا تقصد الصورة والإطار فعليا بل تتخذهما كمثال لمعالجة القضية في سائر جوانب الحياة ورأيي أن الإطار يجب أن يسبق الصورة، كما يجب أن يكون موجودا قبلها بشكل حتمي.

ونبدأ أولا بقضية الإطار والصورة كرسم

فهل الإطار هو البرواز الخطى الذي يضعه الفنان على اللوحة قبل أن يبدأ الرسم؟!

في نظري لا

بل الإطار يختلف عن البرواز، البرواز وجوده من عدمه لا يؤثر وهناك لوحات كثيرة بغير براويز وتملأ المساحة التي باللوح أما الإطار فهو حدود اللوحة نفسها

فاللوحة طول وعرض يختاره الفنان تبعا لحجم لوحته التي يزمع رسمها واختياره للوحة بإطارها المحدد بمساحته وأبعاده أمر لازم وضروري وإلا فسدت اللوحة وتبعثرت الألوان خارج المساحة

وتخيلوا معي فنانا لم يحدد إطارا للوحته ووضعها على الأرض وأهمل أبعاد اللوحة نفسها والتي تمثل الإطار المحكوم وظل يرسم وتعدت حدود الرسم أبعاد اللوحة إلى الأرض

ما الذي سيحدث عندما يرفع الفنان لوحته عن الأرض لعرضها؟!

طبيعي أن أجزاء الصورة الخارجة عن الإطار ستتلاشي من اللوحة وبذلك تفسد الصورة

نأخذ هذا المقياس إلى الفكر ونطبقه لنرى هل الإطار لازم لأي قضية؟!

الجواب نعم قطعا

ولله ولرسوله عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى تأملوا معي صفحة السماء وخلق الكون هذه اللوحة البديعة ستجدون أن كل جزء منها تم تحديده بإطار لا تخرج لوحته عنه مقدار خردلة وإلا اختل الكون وفسد، فكل كوكب وكل نجم وكل مجرة وكل مجموعة نجميه لها إطار محسوب وفلك محدد تجرى فيه لا تخرج عنه أبدا

وحدد الله لتلك الأجرام طرق جريانها قبل أن يخلقها وجعلها تلتزم به فلا تحيد فماذا يحدث لو اختل مسار أي جُرْم منها؟!

يجيب علماء الفلك أن النتيجة كارثية قطعا

ومن الأمثلة البديعة في ذلك أن علماء الفلك حددوا درجة حرارة سطح الشمس بخمسة آلاف درجة لا تنقص ولا تزيد ولو أن الدرجة اختلت بمقدار درجتين فقط بالنقص أو الزيادة لاختلت الحياة على الأرض

ومن حدود الخلق إلى قضاياهم

أي قضية تثور أمام الإنسان لو لم يحدد مسبقا ما هو الإطار المحدد لها فلن يتمكن من حلها إلى أبد الآبدين

مثلا:

قضية الحياة نفسها، إطارها المعروف هو السؤال المفصلي لماذا نعيش؟!

لو أننا لم نحدد هدف وجود الإنسان على الأرض وهدف الحياة ودخلنا مباشرة في الصورة نفسها وهي تفاصيل الحياة وزخمها المعتاد والبحث عن كيفية المعيشة دون النظر إلى هدفها ماذا ستكون النتيجة؟!

ستكون النتيجة أن يفقد الإنسان أهم ما يميزه عن الأنعام، حيث سيعيش لأجل المعيشة بلا هدف أو هوية ويظل مشغولا فقط بتجميع القوت وجعل حياته أكثر سهولة إلى أن يدركه الموت

فينقلب الإنسان من كائن يأكل ليعيش إلى دابة تعيش لتأكل وكذلك سائر القضايا.

يعتبر فيه السؤال بصيغة (لماذا) هو الإطار اللازم الذي لابد منه قبل الشروع في موضوع القضية (اللوحة) وهو السؤال بصيغة (كيف)ولا أبالغ إن قلت إن غياب أهمية تحديد الإطار قبل الصورة كانت ولا زالت هي الكارثة العظمى وراء تخلف أمتنا لأن أمتنا توافر فيه عيب قاتل يندر أن تجد مثيله في أمة من الأمم ويعبر عن مدى ما وصلنا إليه

فنحن في تعرضنا لقضايانا ومشاكلنا نشرع مباشرة في رسم الصورة دون تحديد الإطار فتكون النتيجة الطبيعية أننا نستنزف مواردنا في سبيل حل قضية بسيطة، ولا نحلها أصلا.

فمثلا:

لو أنا منزلا يعاني من فساد الصنابير ومواسير المياه، المفروض أن يكون الحل الطبيعي هو إصلاح العطب باستبدال الأجزاء المعطلة، لكننا لا نشرع في ذلك بل نفضل أن نبذل عشرة أضعاف الجهد والمال في نزح المياه المتدفقة ولا نفكر في أن نصرف عُشْر تلك النفقات في إصلاح العطب الرئيسي الذي ينهى المشكلة جذريا.

ولو تأملنا حياتنا الاجتماعية البسيطة وأحب كل منا أن يجد دليلا على ما قلناه

فما عليه إلا أن يختار أي شخص في مجتمعه ويسأله سؤالا بسيطا جدا في أي قضية، لماذا تفعل كذا؟!

وانظروا إلى إجابته ورد فعله

مثلا إذا سألنا شخصا ما هو هدفك في الحياة؟!

سترى الأجوبة تتراوح ما بين الوظيفة المرموقة والحياة العائلية والمال الوفير والشهرة والنفوذ و ... و ...

فهل هذه الإجابات هي إجابات سليمة على السؤال؟!

كلا بالطبع لأننا سألناه عن الغاية فأجاب عن الوسيلة!

نحن نسأله عن الغاية من كل هذا وهو يجيبنا عن وسائل راحته التي يتمناها والتي لا تعتبر هدفا لأي مخلوق عاقل

لأن الغاية كما يعرفها المفكرون (هي النتيجة التي ليس بعدها بعد)

فإذا نظرنا للوظيفة المرموقة أو المال أو ما شاكلها فكلها تعتبر من الوسائل التي ما إن يصل المرء إليها حتى يفكر في استخدامها لينال غيرها

إذا ليست هي الهدف والغاية لأن هناك ما هو بعدها من التصرفات أو الأمنيات.

والجواب الصحيح على السؤال تكون إجابته دائرة في مضمون مرضاة الله والجنة ورفعة الدين أو الوطن أو تحقيق نهضة أو المساهمة في إنشاء حضارة أو في أبسط الغايات المتمثلة في تكوين أسرة صالحة وأبناء يحققون ما طمح آباؤهم إليه، إلى غير ذلك من الغايات التي تعتبر آخر المطاف بالنسبة لأي شخص عاقل

ولا شك أن الإجابة النموذجية لسؤال لماذا تعيش؟!

هو بذل الجهد لتحقيق الآية الكريمة

[وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]

{الذاريات:56}

فيكون الهدف الرئيسي بلوغ الغاية العظمى عن طريق الوسيلة المتاحة وهي الحياة

والحياة خلقها الله للإنسان مليئة بالوسائل وجعلها مليئة بالطرق والفجاج التي تؤدى كلها إليه في النهاية

وما على الإنسان المؤمن الرشيد إلا أن يضع الإطار أولا فيحدد أن هدفه هو الجنة، ثم يري في وسائل الحياة أنسبها إليه وأقربها إلى إمكانياته فيجندها للوصول إلى هذا الهدف

لهذا نقول لولا الإطار ما كانت الصورة

فلسفة التوفيق في الإسلام

****

كثيرا ما يستبد بالناس الحيرة حول توفيق الله عز وجل، ومبعث الحيرة هنا أن الحوادث في الواقع تخالف في بعض الأحيان ـ ظاهريا ـ المعادلات الشرعية الثابتة بالقرآن والسنة

وأبدأ بإزالة الحيرة المبدئية الواقعة بين التوفيق في أمور الدنيا والتوفيق في أمور الدين

فأنا هنا لا أتحدث عن التوفيق الشخصي في أعمال الدنيا فهذا الأمر ليست له معادلة ثابتة بل هو غيب خاضع لعلم الله عز وجل، فالتوفيق في الدراسة أو الكسب أو المعاش أو نحوها هي أمور تخضع لمعادلة الرزق المقدور وليس للإنسان دخل بها والجهد المبذول هنا هو مجرد أخذ بالأسباب أما النجاح والتوفيق فيها فهذا بقدر الله كاملا

باختصار.

أمور الرزق لا تتطلب من الإنسان سعيا يقابله نتيجة متوقعة بالضرورة، ولكنها تتطلب السعي مع حجب دور الإنسان في النتيجة

كذلك يخرج من موضوعنا نصرة الحق في غير أمور الدين، فهذه أيضا محلها مشيئة الله إن شاء عجل بالنصر للمظلوم من الظالم وإن شاء ادخرها له في الآخرة

أما موضوعنا الأصلي فهو فلسفة التوفيق في شأن نصرة الدين، فهذا الأمر لا يدخل ضمن الإطار السابق في تقدير الأرزاق بل يدخل ضمن إطار الوعد الإلهي الغير قابل للنسخ، وذلك ضمن معادلة إلهية لا تقبل النقض عبر عنها القرآن الكريم في أكثر من موضع وبأكثر من صيغة كلها تحمل نفس الدلالة

النصر الإلهي متحقق حتما لمن قصد الإخلاص في نصرة الله، وهذا النصر قائم على الإخلاص حتى لو غابت الأسباب فيُمكّن الله لمن ينصرونه وعدا وصدقا طال الزمن أم قصر وضمان النصر هنا ليس في الآخرة وحسب بل في الدنيا أولا، ثم في الآخرة

وهذا صريح قوله تعالى:

[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ]

{غافر:٥١}

هذا بخلاف النصوص المتضافرة في القرآن والتي تجعل النصر التام والشامل للرسل والمؤمنين وتقصر العاقبة على المتقين، وتورث الأرض لهم

هذه المعادلة هي المعادلة التي تستحق التوقف عندها، وما من جيل من أجيال المسلمين فيما بعد عهد الخلافة إلا وسألوا أنفسهم ما الذي أصاب دولة المسلمين حتى تتكالب عليها الأمم من عهد المغول وهجمات الصليبيين وحتى عصرنا الحاضر

ما من جيل من هذه الأجيال إلا وسأل نفسه هذا السؤال.

وانتصرت تلك الأجيال على المغول وعلى الصليبيين بالتفكر في ذلك الأمر وحده وإدراكها لحقيقة المعادلة فكان النصر والتمكين جزاؤهم الأوفى

يروى ابن كثير في البداية والنهاية بعد اجتياح المغول لبغداد حاضرة الخلافة، أن أحد قوادهم سأل شيخا من المسلمين عن سبب نصر المغول على المسلمين ولماذا لم ينصرهم ربهم، فأجاب ما مؤداه أن المغول ككلاب الراعي يرسلها الله سبحانه وتعالى لترد رعيته عن الشرود، فلما شرد المسلمون عن دينهم أرسل عليهم كلاب المغول حتى تردهم

فالمعادلة تتطلب من الإنسان في هذه الحالة أن يكون طرف المعادلة من ناحيته هو النية الخالصة، والخالصة هنا تعنى الخلو من الشوائب والبعد عن كبائر الذنوب وأخطرها الشرك الأصغر والنفاق، وفى المقابل يأتي النصر خالصا مع تفاوت في وقته

وحتى تأخر أو تبكير وقت النصر مرهون بدرجة التقوى

فمما يُؤثر في التاريخ الإسلامي أن (عمر بن الخطاب) استكثر مجيء النصر في أحد معارك المسلمين مع الفرس لأن النصر في المعركة أتى بعد أيام وما كان هذا هو المعتاد في معاركهم السابقة!!

وفى خير القرون وهي القرون الثلاث الأولى سنلاحظ أن معجزات انتصار المسلمين في حروبهم مع أعدائهم كانت عملاقة في إنجازها، ثم خفت المستوى شيئا فشيئا ولو أن النصر لم يغب، حتى ابتعد المسلمون عن الطريق فانتهى النصر مرحليا،

فلما عادوا عادت الوتيرة، وهكذا حتى جاء عصرنا الحالي فكانت الموتة الكبري التي تنتظر بعثا يعيد الإخلاص للنوايا

ففي عصر النبي عليه السلام والصحابة كانت كل معاركهم دونما استثناء عبارة عن معجزات يحالف التوفيق فيها دائرة المسلمين على المشركين تارة وعلى المرتدين تارة أخرى وعلى الفرس والروم وهكذا[11]

كل معركة كانت معجزة بحد ذاتها تستعصي على التفسير الدنيوي ولن تجد دولة في التاريخ دخلت في جبهات حرب متعددة في وقت واحد مع أعتي القوى العسكرية في العالم ثم انتصرت انتصارا ساحقا كالذي حالف المسلمين مع فارس والروم

(11) ـ عالجنا هذه القضية بالتفصيل في كتابنا (الإلحاد أمام محكمة العقل) ـ مركز جداريات الثقافي2021

لا تستهن بمناجاتك

****

مـن أنعـم الله عليـه منكـم بـأب أو أم بارين بـه، يتعلـق قلبـه بهمـا وقـد أحسـنا تربيتـه وصحبتـه وكانـا لـه دفقـا مـن الحنـان والأمـان

عليـه أن يرجـع بذاكرتـه قليـلا إلى أيـام طفولتـه ويسـتعيد تلـك اللحظـات التي تنغلـق فيها أمامـه الدنيا سـواء بفشـل دراسي أو خـذلان مـن أي نـوع، وكيـف أنـه يهـرع سـاعتها لحضـن أبيـه أو أمـه فيفـرغ أحزانـه ومناجاتـه وهمومـه في هـذا الحضـن الـدافئ

هـذه اللحظـة بالـذات هي مربـط الفـرس في موضوعنـا، فقـد وجـدت شـكاوى وتعليقـات كثيـرة ممـن يعانـون مـن همـوم عاتيـة أو لهـم أمـاني عظيمـة يدعـون الله أن يؤتهـا لهـم ومـع ذلـك لا تتحقـق فالأزمـة هنـا أزمـة القلـب وحـده

ولهـذا جئـت لكـم بالمثـال السـابق كي يعبـر عـن المقصـود، فلـو أنـك أيهـا الـداعي لجـأت إلى ربـك وحـده في لحظـة خاليـة ليـس فيهـا مخلـوق، وعلقـت قلبـك بربـك بكافـة جوارحـك وبكيـت وأفرغـت حزنـك بيـن يديـه بنفـس أسـلوب إفـراغ حزنـك بيـن يـدي أبيـك، وبنفـس الثقـة الـتي تـأتى بهـا إلى أبيـك وتثـق في أنـه لـن يـردك أبـدا وسـيقف في ظهـرك حتمـا

ساعتها حتما سيستجيب الله لك بأفضل مما تتمنى بأضعاف مضاعفة

فالله عـز وجـل عنـده مـن الرحمـة ٩٩ جـزء أنـزل منـه جـزء واحـدا فقـط للدنيـا منـه يتراحـم كافـة الخلـق، ولـك أن تتصـور كـم تبلـغ مقـدار رحمـة والـدك ـــ مهمـا بلـغ حبـه لـك ـــ إلى جـوار رحمـة ربـك!

والله عـز وجـل لا يطلـب منـا إلا اليقيـن فلـو امتلكـت اليقيـن فيـه بمـا هـو أهلـه سـبحانه فمـن يجـرؤ بعدهـا عـلى إيذائـك!

والنبي عليه السلام أشار ذات مرة إلى امرأة وضعت طفلها في حجرها فقال لأصحابه

أتظنون هذه طارحة ولدها في النار؟ (يعنى هل ممكن تلقي بابنها للنار)

قالوا كلا بالطبع، فقال النبي علي السلام إن الله أرحم على خلقه من هذه على وليدها

ولحظات الضعف والانكسار تصبح قوة عظمى هائلة في يد العبد لو أنه أحسن اللجوء لربه، وأمامنا أمثلة رهيبة على طبيعة نصرة الله لمناجاة عبده المستضعف

الأول ؛

مثال سيدنا نوح عليه السلام بعد أنفق تسعة قرون لدعوة قومه فأشبعوه سخرية فناجى ربه أنه مغلوب فانتصر

وما كان نوح عليه السلام يتوقع أن الله عز وجل سينصره بالطوفان الذي استأصل الشرك والكفر من الأرض كلها في بضع ساعات وأورث نوحا والمؤمنين ممالك الظالمين جميعا

وسيدنا زكريا، تجربته في المناجاة درس بليغ حيث لجأ لربه بعد كبر سنه ومعايرة قومه لعدم إنجابه ووصف الله تعالى المشهد بقوله

[ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥)].

{مريم}.

فكان الرد أن أتى له بوريث معجزة وليس مجرد ولى يرثه ورزقه يحيي عليه السلام نبيا ومنفردا باسمه وأتاه الحكم والكتاب صبيا

وهكـذا هـو رد رب العالميـن عـلى حالـة الضعـف والانكسـار حيـث تكـون الاسـتجابة بأقـصى مـدى لا يتوقعـه العبـد

ونبينـا عليـه السـلام عندمـا عـاد مـن رحلـة الطائـف وقـد رمـوه بالحجـارة فناجـى ربـه باكيـا فـكان الـرد أن أرسـل معـه جبريـل ومعـه ملـك الجبـال وقـال لـه مـره بمـا شـئت ولـو أردت أن يطبـق عـلى أهـل مكـة والطائـف جبليْ الـوادي لفعـل، لكـن النـبي عليـه السـلام اكتـفي بتلـك النصـرة المـؤزرة واسـتغفر لقومـه

والسـيدة عائشـة رضي الله عنهـا في حادثـة الإفـك ظلـت أربعيـن يومـا تناجى ربهـا أن يظهـر براءتهـا وكانـت أقـصي أمانيهـا أن يـري رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم رؤيـا تثبـت البـراءة

فعوضهـا الله تعـالى بسـورة كاملـة في القـرآن وهي سـورة النـور تشـهد ببراءتهـا وَتُفَسـق كل مـن تكلـم فيهـا

فهكذا هي المناجاة، وهكذا هي الاستجابة على اليقين

أصدقاء الحق ... أعداء الخلق

****

كاتبنا الساخر العظيم محمود السعدني رحمه الله له كتاب شهير من جزأين أصدره بعنوان (حمار من الشرق)

روى فيه بقلمه الحاد بعضا من أحوال الوطن العربي، ومن حسن حظ كاتبنا الكبير أنه لم يعش في أيامنا هذه لا هو ولا جيل المفكرين الكبار وجيل قرائهم، وكان الله في عون جمهور هؤلاء الناس ممن تبقوا على قيد الحياة لأن ما يعانونه اليوم من تعذيب مفجع لما يشاهدوه يفوق أقصي درجات الدراما والفنتازيا

ومحمود السعدني في الجزء الثاني من كتابه كان قد عبر الألفية الجديدة ولمح في أحوال الوطن العربي ما يجعله يتنبأ بالنتيجة

وكان من أهم أقواله في هذا الكتاب هو نصيحته التي وجهها إلى جيل الكتاب الشباب الذين تربوا على نهج الجيل القديم وأصبحوا في مرحلة النضج الثقافي حيث قال لهم ناصحا ومواسيا أنهم سيلاقون ما لم تلاقيه أجيال آبائهم، رغم أن الأجيال السابقة دخلوا السجون والمعتقلات وعانوا في حياتهم تجارب مريرة في سبيل الدفاع عن مبادئهم

لكن محمود السعدني نصحهم بأن الحق سيكون مرهونا فقط بالاستقلال

فالكاتب الحر المستقل عن أي تيار المدافع عن الحق أينما وجده والمهاجم للباطل أينما وجده بغض النظر عن قائل الحق والباطل

مثل هذا الكاتب سيكون ضمن فريق أصدقاء الحق وأعداء الخلق وسيواجهون من العداء والحرب ما لا يتخيلونه من كافة الفئات المتصارعة

والسبب واضح.

وهـذا السـبب أننـا أصبحنـا في زمـن العبوديـة التامـة، حيـث تسـبح كافـة التيارات والأقلام وفق هـوى الفريـق الـذي تتبعـه ولا يشـذ عنهـم أحـد قـط

وهـؤلاء جميعـا يعيشـون وهـم مؤمنـون بـأن عبوديتهـم خيـر لهـم مـن الحريـة، لهـذا تجـد الواحـد منهـم يرهـق تفكيـره ويقـضي عمـره في سـبيل الدفـاع عـن فريقـه حـتى لـو بـات في حضـن أعـدى أعـداء الأمـة وحـتى لـو انتهـك كافـة المقدسـات

وهـؤلاء لديهـم اسـتعداد فطـري لتبريـر أي تصـرف مهمـا كان شـاذا، طالمـا أن سـادة الفريـق الـذي ينتمـي إليـه اتخـذت هـذا التصـرف وطلبـت منـه الدفـاع عنـه

لهـذا، وفى هـذه الأجـواء المتخمـة بالعبوديـة، مـن المسـتحيل أن يجـد أي متحـدث أو مثقـف حـر مكانـا للحديـث أو حـتى الحيـاة طالمـا أنـه لـم ينتـم لفريـق مـن الفـرق المتصارعـة

وهـؤلاء الأحـرار هـم أنفسـهم الفئـة القليلـة الـتي تحـدث عنهـا النـبي عليـه السـلام فقـال:

(طوبي للغرباء)[١٢]

فالغُربـة هنـا ليسـت الارتحـال عـن الأوطـان بـل الارتحـال عـن المجتمعـات، فتنعـزل وأنـت في مجتمعـك وبلـدك داخـل نفسـك ولا تقـدم النصـح إلا لمـن يطلبـه وتـؤدى مـا تـراه حقـا عليـك ... وكـفي

(12) ـ الحديـث تمامـه (بـدأ الإسـلامُ غريبًـا وسـيعودُ غريبًـا كمـا بـدأ فطُـوبى للغربـاء، وفي روايـةٍ قيـل يـا رسـولَ اللهِ: مَـن الغربـاءُ؟ قـال: الذيـن يصلحـون إذا فسـد النـاسُ، وفي لفـظٍ آخـرَ قـال: هـم الذيـن يُصلِحـون مـا أفسـد النـاسُ مـن سـنتي)، أخرجـه ابـن بـاز صحيحـا في مجمـوع الفتـاوى، وأخرجـه مختصـرا الامـام مسـلم في صحيحـه مـن حديـث أبي هريـرة رضي الله عنـه

الفارق الضخم بين شريعة الله وشريعة الناس!

****

لـو تدبـر الواحـد منـا لخمـس دقائـق فقـط في هـذا المجـال لاكتشـف غرائـب تعلـو عـلى عجائـب الدنيـا السـبع، ومنهـا مثـلا:

لمـاذا يسـمى النـاس أبنائهـم باسـم (قابيـل) ولا يوجـد أحـد فكـر في أن يسـمى ابنـه (هابيـل)؟!

رغـم أن قابيـل هـذا كان هـو القاتـل الظالـم لأخيـه بـل هـو أظلـم القتلـة في التاريـخ البشـري لأنـه أول مـن سَـنّ القتـل فـكل نفـس مقتولـة بعـده لـه وزر منهـا كمـا ثبـت بالحديـث، ومـع هـذا مـن المسـتحيل أن يسـمى أحدهـم اسـمه باسـم الضحيـة رغـم أن هابيـل كان التـقي الـورع الـذي تقبـل الله قربانـه وتقبلـه شـهيدا، بـل المصيبـة الأعظـم أنـه في لغتنـا العاميـة جـاءت مشـتقات مـن اسـم هابيـل تـدل عـلى كل إنسـان أبلـه ضعيـف مسـتضعف!

ولنـا أن نتصـور أي مأسـاة نعيشـها عندمـا يكـون الافتـراء والبـذاءة وطـول اللسـان علامـة قـوة عنـد المجتمـع بالجملـة الشـهيرة (ده شـخص جـدع بيعـرف ياخـد حقـه) وينـسي هـؤلاء قـول النـبي عليـه السـلام

(إن شر الناس من اتقاه الناس مخافة فحشه)

أي إنسـان يكـون مـن طبعـه وغريزتـه اليـسر والطيبـة وسـهولة التعامـل وتفـادى المشـاكل بقـدر طاقتـه والعفـو عمـن يظلمـه وسـرعة عفـوه عـن النـاس، تجـد المجتمـع مـن حولـه ينتقـدون صفتـه تلـك ويتهمونـه بالطيبـة كمقابـل للسـذاجة بينمـا البلطجـي المفتـرى صاحـب الصـوت العـالي الـذي لا يغفـر زلـة أحـد قـط بـل يردهـا أضعافـا تجـد إعجـاب المجتمـع بـه ظاهـرا بـل ويطلقـون عليـه ألقـاب التمجيـد أيضـا!، مـع أن النـبي عليـه السـلام قـال:

(حُـرّم على النار كل هين سهل قريب من الناس)[١٣]

(13) ـ حديث حسن أخرجه الترمذي واللفظ له، وأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن مسعود ـ

وقال النبي عليه السلام أيضا:

(رحم الله عبدا سَمْحَا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا اقتضي)[١٤]

لنقف مع أنفسنا أيضا مع مثال يوضح الفارق بين شريعة الله وشريعة الناس، عن طريق النظر لرد فعل الآباء والأمهات إذا وقع أبناؤهم في الشرك أو الرياء أو وقعوا في الفُحش والبذاءة أو فرطوا في الصلاة وبين رد فعلهم إذا قصر الأبناء في دراستهم فخسروا عدة درجات أو رسبوا في أحد الاختبارات!

في الموقف الأول ستجدهم يتعاملون مع الأبناء بالرفق واللين وبالجملة المائعة (ربنا يهديهم) وهي مقولة حق يراد بها باطل

وفي الموقف الثاني ستجد الآباء والأمهات في أعتى درجات الغضب ولا يتحملون التفريط في الدرجات الدراسية بينما يتغافلون عن درجات الآخرة!

والسر في تلك الظواهر ومثلها العشرات أن شريعة الناس قائمة على البطش وغريزة الجبروت نائمة في القلوب حتى توقظها السلطة أو المال أو النفوذ، ولا يقهرها حقا إلا من يتبع شريعة الله ـ لا الناس ـ ويكفر بدين هؤلاء وشريعتهم ويولى وجهه شطر ربه الذي أقسم بتتبع كل متكبر جبار في الأرض حتى لو كان جبروتا نفسيا في داخل ضعيف القوى وينتظر لحظة القوة لينفجر ... والعملاق حقا هو من تمكن من أن يصرع نفسه قبل تصرعه

وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تخريج مسند ابن حنبل

(14) ـ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

متى يكون (الضال) أخطر من (المنافق)

****

من أبجديات مفاهيم العقيدة في الشريعة الإسلامية، أن النفاق والمنافقين ـ أعاذنا الله وإياكم ـ في الدرك الأسفل من النار بصريح القرآن، وعليه فلا يوجد أخطر على الدين والدنيا من المنافقين،

وبالقطع نعنى هنا مفهوم (النفاق) في التشريع، وهو يختلف عن المفهوم المتعارف عليه مجتمعيا من وصف أصحاب التزلف والتملق بالنفاق، فأمثال ما نراهم في الإعلام يرتكبون مفهوما آخر هو (التملق)، وهو مجاملة وإفراط المدح لأصحاب النفوذ والمال بغرض الاستفادة منهم،

أما النفاق فهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان.

وأمثال هؤلاء تكمن خطورتهم في طبيعة العقوبة الربانية حيث جعلهم أشد عقابا من المشركين، وهذا لأنهم يلعبون دورا هداما في الأمة والمجتمع كالسوس الذي ينخر في أساس البناء

ولا يكتمل وصف النفاق للمنافق إلا إذا كان يقصد الهدم ويدرك فعليا أنه منافق ويريد تقويض المجتمع أو الدولة، ويمارس دوره عن طريق إظهار التدين أو إظهار الوطنية مثلا، فيقود الناس إلى هلاكهم وهو ظاهر أمامهم بمظهر التقي الغيور على المصلحة العامة

والنفاق دون شك أكبر درجة بكثير من الضلال سواء كان الضلال عقائديا (كالشرك والبدعة) أو كان الضلال من ارتكاب الكبائر والذنوب، وهذا يعنى أن الضال مهما بلغ ضلاله لا يمكن أن يكون أثره في المجتمع بفداحة أثر المنافق

ولكن رغم هذا فمن الممكن أن يكون الضال أخطر من المنافقين أثرا، وأسرع هدما، وهذا في حالة واحدة لها شرطان

الأول:
أن يكـون الضـال المضـل في مركـز تحكـم أو ولايـة، كأن يكـون صاحـب سـلطان أو نفـوذ أو صاحـب رياسـة وتوجيـه للمجتمـع

الثاني:
أن يكون الضال جاهلا تماما بضلاله، بمعنى أنه يرتكب أبشع الموبقات التي تُودى بالأمة ولكنه في قراره نفسه يظن ويصدق ويقتنع تماما أنه على أعلى درجات الحق

فإذا اجتمع في ضال واحد هاتين الصفتين، فسيكون أثره على الأمة أشد من خطر مجموع المنافقين، لأن المنافق ـ مهما بلغ ذكاؤه ـ لا يستطيع أن يخدع كل الناس كل الوقت، وحتما ستجد فئة تصدقه وفئات أخرى متعددة تكشفه في مرحلة من المراحل

لكن الضال إذا تملك الرياسة في المجتمع نفوذا أو إرشادا وكان يملك القوة التي يفرض بها معتقده، وفى نفس الوقت يكون مقتنعا أنه على الحق، فمثل هذا لا يفلح أهل الأرض جميعا في إقناعه بأنه على خطأ أو أنه يؤدى بالناس إلى التهلكة، حتى لو أجمع على تخطئته كافة من حوله وكافة من يثق بهم!

والسر هنا يعود لطبيعة هذه العقول، فهي نوع نادر من العقول ذات الغباء المستحكم لا يفيد معها العلاج، وقد عاصر المسلمون أول نموذج لهذه العقول عند ظهور فرقة (الخوارج)، ومع ظهور آثارهم وأفعالهم وطبيعة معتقداتهم أدرك المسلمون لماذا أوصي النبي عليه السلام بوجوب قتالهم وتتبعهم إلى أقاصي الأرض

ولإدراك مدى تحجر هذه العقول يكفي أن نقول إن (عبد الرحمن بن ملجم) لعنه الله، وهو الذي الإمام (علىّ بن أبي طالب) رضي الله عنه، كان صَوّاما قَوّاما، وكان لسانه يلهج بالاستغفار والفخار لما فعله ويحسب أنه أنقذ أمة الإسلام عندما قتل أفضل رجل على وجه الأرض في زمانه

وهـو الإمـام عـلـيّ بـن أبي طالـب نفسـه!

ومـن مواقفهـم العجيبـة أيضـا أنهـم عندمـا خرجـوا عـلى الإمـام عـلـيّ وعاثـوا في العـراق فسـادا، صادفـوا التابـعي الجليـل والإمـام الـورع (عبـد الله) ابـن الصحـابي الجليـل (خبـاب بـن الأرت) وزوجتـه، وكانـت زوجتـه حامـل، فقتلـوه وقتلـوا زوجتـه

وبعدهـا مـروا ببسـتان نخيـل لأحـد التجـار سـقط منـه بعـض التمـر فالتقـط أحدهـم تمـرة وهـم بمضغهـا فنهـره قائـده بشـدة لأنـه لـم يسـتأذن صاحـب البسـتان!!

فألقاهـا الرجـل وهـو يلهـج بالاسـتغفار الشـديد بينمـا سـيوفهم لا زالـت سـاخنة بدمـاء عبـد الله بـن خبـاب!

هـذه هي طبيعـة العقـول الـتي إن تملكـت صـارت أكثـر فداحـة مـن الوبـاء المسـتفحل، والمصيبـة (مصدقيـن نفسـهم!)

أبسط قواعد سؤال الفتوى والعلوم

****

الأولى:
اسـأل الفقيـه، لا العالـم، فالفقيـه درس النظريـة وطبقهـا، والعالـم إنمـا درس النظريـة دون تجربـة

الثانية:
اسـأل مـن يفتيـك عـلى وضعـك لا عـلى وضعـه، ومـن يفتيـك عـلى قـدرك لا عـلى قـدره، فإنـه إن أفتـاك بقـدره ووضعـه كانـت الفتـوى صالحـة لـه وليس لـك

الثالثة:
لا تأخـذ الفتـوى ولا العلـم ممـن لـم تعـرف عنـه أنـه تراجـع عـن موقـف مـا ـــ موقـف واحـد في حياتـه عـلى الأقـل ـــ اعتبـره خطـأ وقـع فيـه فقـام بتصحيحـه علنـا، فـإن لـم تجـده كذلـك فـلا تسـأله، فالقاعـدة الحتميـة أن كل عالـم لـه زلـة أو هفـوة يتراجـع عنهـا، بـل هفـوات، فإن أعلنهـا وصححهـا فهـذا هـو العالـم المؤتمـن، فـإن وجدتـه سـكت عنهـا أو بررهـا فـلا تأمنـه

الرابعة:
لا تسـأل عالمـا قـط ينتسـب إلى أي شيء بخـلاف مذهبـه العلمـي وإلى السُـنة، فإن وجدتـه يُـعرّف نفسـه للنـاس بـأي مسـمى آخـر خـلاف ذلك فلا تأخـذ منـه لأنـه سـيفتيك بمرجعيتـه الحزبيـة لا بمرجعيـة القـرآن والسـنة

الخامسة:
لا تطلـب العلـم مـن عالـم لـه منهج أخـلاقي أو علمـي معروف عنه، يُـدَرسه للنـاس ويدعـو لـه، ثـم وجدتـه في يـوم مـا خالـف أصـول هـذه التوجهـات

ولم يطبقها على نفسه، حتى لو كانت هذه التوجهات عبارة عن وجهة نظر فرعية وليست حراما صريحا، فإن العالم الذي يختط لنفسه خطا مبدئيا يلتزم به ـــ مثل الالتزام بعدم قبول المناصب مثلا ـــ ويدعو الناس له، ثم رأيته خالف هذا التوجه حتى لو كان المبرر منطقيا فلا تتبعه، إلا إذا كان هذا العالم قد وضع استثناءات محددة معروفة عنه أيضا قبل مخالفته لما يدعو إليه.

ومبرر ذلك أن العالم ليس كأفراد الناس فإذا التزم بالورع في أمر محدد ودعا له دوما ولم يلتزم به فسيفرط مستقبلا في الحدود التشريعية ذاتها ولن يُعجزه التبرير حينئذ، وأعتقد أننا في السنوات الأخيرة شاهدنا مسرحيات كوميدية لمبادئ ظل أصحابها يزايدون بها على مخالفيهم فلما جاءتهم لحظة الاختبار فعلوا ما هو أدهى وأمر

السادسة:

مفهوم (الثوابت) بطبيعته مفهوم ضيق للغاية

فهي قواعد محددة وقليلة العدد وهذا لأنها قواعد غير قابلة للاستثناء ولا يصلح فيها المخالفة أو الاجتهاد، أما بقية القواعد فهي التي تتميز بالمرونة ويجوز فيها الأخذ برخصة الاضطرار، والتماس العذر لمخالفيها، ومن أوليات الثوابت هي أصول الدين، والوطنية.

فمثل هذه الأمور لا يوجد فيها شيء اسمه (وجهة نظر)، فأنت إما ملتزم بها وإما لا، فمتى خالفها الشخص العادي كان خائنا أو مبتدعا، وتكون المصيبة أكبر إن كان المُخالف مفكرا أو عالما، مع الوضع في الاعتبار أن أصول الدين تعنى (القرآن والسُنة)، والوطنية تعنى (البلاد)

وبالتالي استخدام هذه المفاهيم لحماية أشخاص أو أنظمة لا يمكن أن يكون من قبيل الثوابت بأي حال من الأحوال، فإن أردت الحديث في الدين فتحدث في الأشخاص واجتهاداتهم، ودع نصوص التشريع لا تمسها، وإذا أردت الحديث في المعارضة فدونك النظام الحاكم بحكومته وبرلمانه وهيلمانه ولكن دع البلد لا تمسها

كيف تميز بين الشيعي والعلماني والمنافق والخارجي

****

مـع كثـرة الفتـن والفـرق يخـطئ كثيـر مـن النـاس عندمـا يتعاملـون مـع الهجمـات المصوبـة ضـد الديـن عـلى أن مصدرهـا واحـد.

ومعرفـة المصـدر ضـرورة مـن ضروريـات الدفـاع، فتحديـد نوعيـة عـدوك تجعلـك تعلـم كيـف تضربـه وتـرد كيـده بضـرب منهجـه ذاتـه حـتى لا ينقلـب الأمـر مـن كل كاتـب أو مفكـر إلى اتخـاذ وضـع الدفـاع عـن الديـن وحسـب دون مهاجمـة المرجعيـة الـتي يسـتند إليهـا خصمـه، وهـو مـا جعـل الإسـلام في موقـف الدفـاع دائمـا الآن

ولغير المتخصصين في مجال العقيدة هناك علامات بسيطة وواضحة يمكنك كشف الخصم أو المُهَاجِم بها، وهي:

أولا:

العلمـاني والملحـد, وهـؤلاء مشـكلتهم مـع الديـن في حـد ذاتـه, وبالتـالي سـهل جـدا أن تميـزه لأنـه ببسـاطة سـتجد كلامـه يميـل إلى الفلسـفة الإلهيـة اليونانيـة القديمـة وإثـارة الشـبهات إمـا حـول وجـود الله بحـد ذاتـه سـبحانه أو الاكتفـاء بإثـارة التشـكيك في النبـوات ذاتهـا, ومنطقيـا سـتكون مشـكلته مـع الشـريعة الإسـلامية والشـرائع السـماوية وغيـر السـماوية دون تمييـز وسـيهاجمها جميعـا, كمـا أن مشـكلته سـتكون مـع مجمـل التاريـخ الإسـلامي بـلا تمييـز فتـرات محـددة أو شـخصيات بعينهـا يركـز هجومـه عليهـا, وهـذا تسـتطيع إسـقاطه بالضربـة القاضيـة بسـؤال لـم ولـن يجيبـوه إلى يـوم يبعثـون , وهـو هـذا الكـون مـن صنعـه وكيـف تـم بـدون صانـع ؟!

ثانيا:

الشـيعي، وهـؤلاء كثيـرون جـدا الآن لأن ثمـار الخميـني الـتي زرعهـا في السـبعينات أثمـرت منـذ الألفيـة الجديـدة وإيـران لهـا عمـلاء مكشـوفون باعتبارهـم تشـيعوا علنـا وعمـلاء أخطـر مسـتترون حيـث يقدمـون أنفسـهم كمُجددين، وهـؤلاء يمكـن كشـفهم بسـهولة وبسـاطة إذ أن النـاس تخـطئ في الحكـم عليهـم كعلمانييـن بينمـا هـم شـيعة في الأسـاس ولكـن بغيـر إعـلان.

وهؤلاء ستجد مشكلتهم الكبرى مع ثلاثة عناصر

مـع القـرآن الكريـم نفسـه حيـث سـيصلون للتشـكيك فيـه حتمـا حسـب المعتقـد الراسـخ للشـيعة بتحريـف القـرآن

وسـتجد منهـم موقفـا بالـغ العصبيـة والضـراوة تجـاه شـخصيات بعينهـا في التاريـخ الإسـلامي لا يمكـن أن يقولـوا فيهـم كلمـة خيـر واحـدة، وهـم (أبي بكـر) و(عمـر) و(عثمـان) رضي الله عنهـم الذيـن أسـقطوا بـلاد فـارس، والخليفـة العباسي (هـارون الرشـيد) الـذي أسـقط البرامكـة، و(صـلاح الديـن) الـذي أسـقط دولـة الشـيعة في مصـر، وسـتجدهم كذلـك منحازيـن إلى أبعـد الحـدود لـكل كافـر أو علمـاني أو ملحـد يشـكك في هـؤلاء مـع أمهـات المؤمنيـن

وسـتجد منهـم موقـف إيجابيـا رهيبـا تجـاه فـرق الشـيعة وتجـاه إيـران بالتحديـد وَيُعظمـون الشـخصيات الشـيعية المشـهورة بأبلـغ تعظيـم وبالتالي يختلفـون هنـا عـن الملحد أو العلماني بشـكل واضـح، ومواجهتهم سـهلة لأن نقـاط ضعفهـم أكثـر مـن أن تحـصي فيكـفي أن تفتـح القـرآن عـلى آيـات مـدح الصحابـة لتجدهـم انقلبـوا إلى العتـه المغـولي وعجـزوا عـن الـرد خاصـة أنهـم يـدارون عقيدتهـم الـتي يعتقـدون بهـا في تحريـف القـرآن والعيـاذ بالله

ثالثا:

الخارجـي أي مـن يتبـنى الفكـر الإرهـابي للخـوارج وهـذا سـهل جـدا أن تميزه من أول نظرة، فمن غرائبهم الحقيقة أنهم من الناحية المظهرية والعبادات متزمتون إلى أبعد الحدود ومن المغرقين في الفروض والنوافل والمظهر الخارجي، وربما تجدهم صوامين قوامين، وفيهم غلظة وعندهم آلة التكفير أسرع من الضوء والأهم أنهم مقتنعون جدا بما هم عليه

وهي سمة أجدادهم الأوائل كانوا يسألون عن حُكم التمرة الملقاة وفى نفس الوقت استباحوا دماء الصحابة، وتجدهم أرفق ما يكون بغير المسلمين، وأعنف ما يكون تجاه المسلمين من أي اتجاه وهذا لا تحتاج لمواجهته بل تفر منه فهؤلاء وفق نص الحديث أحفاد قوم عاد

رابعا:

المنافق، وهذا تمييزه أسهل بكثير لأن الفئات السابقة هي شخصيات ذات مبدأ في كافة أحوالها بمعنى أنهم متمسكون بتيار معين أو فكرة معينة يدرون معها حيث دارت ويتوجهون لمصلحتها أينما كانت

بينما المنافق غير ذلك فهو مجرد آلة حيثما توجهها فثم وجه المصلحة، وانقلابهم على مواقفهم السابقة يعتبر من أبجديات صفاتهم ولديهم صفاقة وتبجح في الانقلاب على مواقفهم لا يدانيهم فيها أحد، فضلا على الصفة الأهم وهي أنهم إذا اتخذوا موقفا ما، تجدهم أكثر تطرفا من أصحاب الموقف ذاته وفى اليوم التالي ينقلبون للنقيض بنفس الحماس أيضا، ومواجهته لا تحتاج أكثر من أرشيف صغير لمواقفه

عافانا الله وإياكم

فلسفة الزهد « دعوة للتبصر »

****

ليس الكلام هنا بمثابة دعوة للصبر بل للتبصر، ليس كلاما لتجميل الحياة أمام الأزمات، بل دعوة لإدراك حقيقة المسميات

فقد درج الغالبية على اعتبار كلمات أساتذتنا من المفكرين والفلاسفة والأدباء على اعتبارها فلسفة فارغة وكلمات لا تعبر عن الواقع وأنهم ـــ أي المفكرون والفلاسفة ـ أول هاجري أفكارهم لو تغيرت بهم الظروف.

وبالتالي فهم يُجمّلون الفقر والفاقة مثلا لأنهم لا يجدون المال وحتما ستتغير تلك النظرة لو أن المال انساب من بين أيديهم.

وهذا منطق ووجهة نظر لا يمكننا التسليم بصحتها في مطلق الأحوال.

فمن ناحية هي صحيحة لأننا وجدنا من تحققت فيه نظرة العامة فترك ما نادى به عند تغير الظروف الخاصة به.

ولكن من ناحية أخرى هناك من ثبت في مواجهة التغير والافتتان.

وكوجهة نظر شخصية فإني أعتبر المفكر الذي يتنازل عما نادى به تبعا لتغير مركزه في الحياة ليس مفكرا بل هو متكلم،

كمثال بعض المفكرين اليساريين الذين صدمتهم حادثة انهيار الشيوعية في بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في مطلع تسعينيات القرن العشرين فانقلبوا على أنفسهم ليصبحوا من عتاة الرأسمالية!

وهو تغير رهيب يشي بانتفاء صفة المفكر عن هؤلاء لأن ثبوت عدم صحة مبدأ ما يدفع المفكر الحقيقي لاتخاذ جانب المبدأ الصائب لا الانقلاب على المبدأ الأول واتخاذ سبيل التطرف المطلق تحت تأثير صدمة اكتشاف سقوطه، فمع كل خطأ نظرية الشيوعية والفكر الماركسي والذي ثبتت أوهامه بالتطبيق الفعلي.

هل معنى هذا أن نتخذ ــ تحت تأثير الصدمة ــ الجانب العكسي وهو الرأسمالية وهي التي لا تختلف ذرة في مقدار خطورتها عن الشيوعية.؟!

كلا بالطبع

المنطق يقول بوجوب البحث خلف المبدأ الصحيح لنلقي الرحال إليه

وفى موضوعنا ــ موضوع الزهد ــ فإن الزهد فيها لا يعنى أنى أستمر في الجهر بعدم الرغبة في المال وهو بعيد عن يدي، بل الزهد الحقيقي لن يعرفه إلا من عرف طريق المال الوفير لأنه ساعتها سيكون على محك الاختبار وهو السبيل لمعرفة الزاهد من المتزاهد.

وهؤلاء تجدهم في وصف علماء السلاطين، الذين ينصحون الناس بكل ما يأمرهم به الحاكم لا ما يأمرهم به الله ورسوله صلي الله عليه وسلم

وأعتقد أننا رأينا هذا عيانا وبكثرة كاثرة في الأيام التي نعيشها اليوم!

لهذا فإن أي فضيلة ــ ليس من الضروري أن تؤمن بها نظريا لتكتسب صفة المُتحلي بها ــ بل يجب ابتداء أن تطرق باب الإغراء بتركها وحينئذ تقطع التجربة كل شك

والسؤال هنا هل الزهد أمر للالتزام، أم منطق للتطبيق؟!

لا يوجد أمر إلهي لا تنبع الحكمة من خلف تقريره، فكل توجيه إلهي لابد أن يطابق صحيح الفطرة في عموم الفائدة وزوال السلبيات وذلك سواء في الأوامر الإيجابية للفعل كالصلاة والصوم والزكاة و.... الخ ...

أو أوامر الامتناع سلبيا عن الأفعال المحرمة

فكل تلك الأوامر لها من المنطق والحكمة ــ سواء أدركنا أم لم ندرك ــ ما يبرر ويحفز على تنفيذها

مثلا كالأمر بترك الزنى حفظا للأنساب وبقاء النوع بتقنين الاقتران، والأمر بتقرير الزكاة حفظا للاتزان الاجتماعي وهكذا

وهناك مع الأوامر القطعية أمور وسطية مسكوت عنها فهي مندوبة على حد تعبير أهل الفقه ومتروكة حسب قناعات كل شخص، وإرادته ورغبته في رضا ربه، وربما يوجد بعض التشجيع باستحباب الفعل أو الترك وربما تركت هكذا بحكم الإباحة فلا إثم من تركها ولا جائزة من خلف فعلها

ولكن ماذا عن الزهد.؟!

هو أمر مستحب بطبيعة الحال لعدم وجود نص قاطع بإتباعه ولا يُعد النص الناهي عن الإسراف نصا بإتباع الزهد وجوبا بل هو نهى عن السرف ولا غرو على من وسّع على نفسه في حدود المسموح وتمتع بالطيبات، بل إنه كمنهج في المثل العليا مختلف عليه وعلى درجته ومفهومه.

فهناك من الأعلام من أخذه على وجه التقتير وهناك من أخذه على منطق التقدير

ومن النوع الأول الصحابي الجليل الفاروق (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه ومن النوع الثاني الخليفة الراشد ذي النورين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه

والزهد درجات ــ كنهر قوم طالوت ــ والزاهدون مستويات كقوم طالوت، منهم من اغترف غَرْفة ومنهم من صمد، كلٌ حسب الإرادة تارة وحسب الفلسفة تارة أخرى

فهناك من يمارس الزهد التزاما وسعيا للتقوى ويتحمل في سبيل ذلك المشاق المألوفة لطلاب الذُرى من درجات العبادة

ولكن هناك أيضا من يُحبب إليه الزهد اقتناعا بمنطقه وفلسفته فيصبح منهجا يستمتع به حتى تصل به الأمور إلى الظن أنه هواية محببة يظن أنه لن يُثاب عليها.

تماما كالعلماء، منهم من يمارس تحصيل العلوم كمهمة شاقة يصبر عليها ومنهم لا يتصور نفسه في هذه الدنيا بدون الكتاب

فالنوع الأول لو عرف طريقا للعلم غير المطالعة لترك النظر في الكتب بكل ما تمثله من عمل مضنى، بينما النوع الثاني لن يترك الكتاب ولو أتاه العلم ففي كأس يشربه سيبحث من فوره عن فروع أخرى يقرأ فيها حبا وشغفا بالمطالعة.

أو كما ورد عن أحد الخلفاء مقولة جميلة معبرة عن تلك المقارنة حيث قال:

(حُبّب إليّ العفو حتى تخيلت أنى لن أثاب عليه)

<u>وبنظرة الى ما سبق، نكتشف الآتي</u>

أن (الزهد) فضيلة تختلف عن الفرض المفروض وهو ضرورة ترك الإسراف والتبذير.

وذلك مصداقا لقوله تعالى:

[إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا]

{الإسراء:٢٧}

فترك التبذير هو فرض عيني واجب التطبيق لأنه يعتبر من كفر النعمة، وتعريف التبذير والإسراف هو استخدام نعمة الله في غير وجهها الصحيح وبذل الإنفاق المبالغ فيه في أمور لا تستحق هذا الإنفاق، ولغير أوجه الضرورة والمباح، وبهدف لفت الأنظار أو المظهرية وحسب

فتارك التبذير والإسراف لا يعتبر زاهدا بل هو مسلم أطاع أمر الله بترك التبذير

أما (الزهد) فهو طاعة مستحبة لله تعالى وليست أمرا مفروضا للالتزام العقائدي، وأفضل تعريف له هو أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك بمعنى أن اعتيادك على النعمة والرزق الوفير ينبغي أن يكون اعتيادا مشروطا بالرضا في حال ضيق الحال وزوال النعمة أو بعضها

فالزهـد ليـس فرضـا نعـم، لكنـه طاعـة كبـري ولهـا جـزاء عميـم في الآخـرة لهـذا كان السـلف يحـرص عليهـا حرصـا تامـا

لكننـا لـو تأملنـا الزهـد مـن وجهـة نظـر المنطـق الأخـروي الواجـب التطبيـق عـلى الغـنى والفقيـر، لوجدنـا أنـه أسـاس دوام الحضـارات، ودوام الحضـارة يختلـف عـن نشـأتها وتأسيسـها، كمـا أن الزهـد المقصـود ليـس الزهـد في المـال، بـل الزهـد في المـادة أمـام المبـدأ

والزهـد بهـذا المعـنى يضـم تحتـه الزهـد في المـال وفى السـلطة وفى الشـهوات وفى الفرديـة والذاتيـة وحـب النفـس ... الـخ

ومـا مـن حضـارة سـابقة أيـا كانـت عقيدتهـا عرفـت الانهيـار إلا بعـد زوال أسـباب الزهـد مـن أهلهـا ...

ربمـا عرفـت الحضـارات معـنى الوجـود والتأسـيس اعتمـادا عـلى حقائـق القـوة أو ثقـل المـوارد، لكنهـا أبـدا لـن تعـرف الـدوام عـلى مسـتوى القـوة بغيـر فلسـفة الزهـد الـتي تضمـن قيـام كل فـرد مـن المجتمـع بتقديـم المصلحـة العامـة عـلى الخاصـة وهـذا هـو عيـن الزهـد

مجرد سطور

****

قبل عدة أيام انتشرت لوحة فنية رسمها فنان إيطالي معروف تمثل صراع الإنسان مع الشيطان، فإذا بالإمارات تحتج على اللوحة باعتبار أن صورة الشيطان كما رسمها الفنان الإيطالي تشبه صورة محمد بن زايد ـــ ولي العهد وقتها وأميرها الحالي ـــ وراعي التطبيع الأول مع إسرائيل!

ذكرتني هذه الحكاية بموقف طريف وقع فيه اللغوي والأديب المعروف (الجاحظ)، والجاحظ تم تلقيبه بذلك نظرا لبشاعة منظره وجحوظ عينيه،

ورغم كونه من أبرع أهل اللغة والأدب إلا أن التاريخ لا ينسي له أنه كان واحدا من نجوم (المعتزلة) الذين طغوا وأفسدوا ونشروا بدعة خلق القرآن وحاربوا إمام السنة أحمد ابن حنبل وحرضوا عليه الخليفة المأمون والمعتصم والواثق لتعذيبه، وقيل عن الجاحظ بالذات كان يحرض المعتصم على قتل الإمام ويقول له: اقتله ودمه في رقبتي أنا!

أما الموقف الذي ذكرتني به حكاية الرسام الإيطالي فهو موقف الجاحظ بينما كان يمر في السوق إذ أوقفته امرأة وطلبت منه أن يأتي معها لدقائق إلى أحد صانعي الأختام من الذين كانوا يصنعون صورا معدنية أشبه بالوشم، فذهب معها الجاحظ فقالت لصانع الأختام:

مثل هذا! ثم انصرفت

واستغرب الجاحظ وسأل الرجل ماذا تقصد المرأة؟

فقال له الرجل أن هذه المرأة طلبت منه أن يصنع لها ختما أو وشما للوقاية من الشيطان فلما قال لها ومن أين لي بصورة الشيطان حتى أصنع لك مثلها، فجاءت بك وقالت مثل هذا!

مـن عجائـب العـرب أنهـم إذا أرادوا أن يسـتدلوا عـلى رضـا الله عـن بعـض الطغـاة أو بعـض عتـاة الأثريـاء المغتريـن بأموالهـم، قالـوا بأنـه هـؤلاء المتجبريـن هـم مـن أوليـاء الله!

ويسـتدلون عـلى ذلـك بأنـه لـولا رضـا الله عـن أعمالهـم لمـا آتاهـم السـلطة والجـاه والأمـوال المتكاثـرة وكأني بهـؤلاء لـم يفتحـوا صفحـة واحـدة مـن كتـاب الله أو حـتى مـن التاريـخ!

فالنمـرود وفرعـون وسـائر الجبابـرة كانـوا من أصحـاب الجاه والنفـوذ وكانت سـجلاتهم حافلـة بانتصاراتهـم عـلى خصومهـم، ورغـم هـذا أخذهـم الله أخـذ عزيـز مقتـدر عندمـا حانـت لحظـة الحـق

فوجـود المـال والسـلطة والنفـوذ ليـس دلالـة عـلى رضـا الله في المطلـق ولا عـلى الحـق، كمـا أن الابتـلاءات ليسـت دومـا دلالـة عـلى الباطـل

وأمثـال هـؤلاء رد عليهـم رب العـزة بقصـة (قـارون) وقصـة (صاحـب الجنتين) الـذي كفـر بنعمـة الله وافتخـر بمـا آتـاه الله وظـن أن مـا أعطـاه دلالـة رضـاه بـل وتنبـأ بـأن الله سـيجزيه الجنـة في الآخـرة

[وَدَخَـلَ جَنَّتَـهُ وَهُـوَ ظَالِـمٌ لِنَفْسِـهِ قَـالَ مَـا أَظُـنُّ أَنْ تَبِيـدَ هَـذِهِ أَبَـدًا وَمَـا أَظُـنُّ السَّـاعَةَ قَائِمَـةً وَلَئِـنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِـدَنَّ خَيْـرًا مِنْهَـا مُنْقَلَبًـا]

{الكهف:٣٦}

وتأملـوا قـول هـذا الرجـل فهـو يكفـر بوجـود الآخـرة والحسـاب ورغـم هـذا يقـول بأنـه لـو كانـت هنـاك جنـة ونـار فسـيؤتيه الله الجنـة كمـا آتـاه الله في الدنيـا

ولأمثـال هـؤلاء ضـرب الله المثـل في الدنيـا لنبيـه محمـد عليـه السـلام في قولـه تعـالى:

[لَا يَغُرَّنَّـكَ تَقَلُّـبُ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا فِي البِـلَادِ مَتَـاعٌ قَلِيـلٌ ثُـمَّ مَأْوَاهُـمْ جَهَنَّـمُ وَبِئْـسَ المِهَـادُ]

إن أعظم فترات المجد الدنيوي، لو استمر حائزها في التمتع بها عمرا طويلا، ثم ذكرها له التاريخ قرونا تلو قرون، فلن تبلغ لحظة واحدة من لحظات المجد الأخروي التي سيتمتع بها عملاق مجهول ربما كان جنديا في معركة لم يسمع به أحد، أو عاملا خفيا أغناه الله وأخفاه، أو عالما في ركن من أركان الدنيا مجهولا إلا عن تلاميذه.

فهؤلاء سيحوزون مجدا وشهرة على رءوس كافة البشر يوم القيامة، منذ آدم وحتى نهاية الأرض وهم يتلقون الكريم والتقدير بأعلى مراتب الجنة وكل الخلق من إنس وجن تتأمل مجدهم هذا بما فيهم كل مشاهير الأرض وحكامها وأغنيائها.

هناك حكمة شهيرة من أقوال عمر بن عبد العزيز تقول:

(رحم الله امرؤ عرف قدر نفسه ...فلزم)، وهي مقولة لعمر وليست حديثا نبويا كما كنا نظن.

والذي يعنينا في هذه الحكمة العبقرية، هي إيضاح معناها، لأن البعض يطبقها تطبيقا كارثيا عكس معناها تماما.

فيظن البعض أن الحكمة تنصح الإنسان بمعرفة قدر نفسه ــ أي قيمتها وعزتها ــ وبالتالي يلتزم بمقتضي مكانته التي يحكم بها لنفسه!

وهذه مصيبة قطعا، لأنه ما من أحد وإلا يظن نفسه فريد عصره، فهذه طبيعة بشرية، ولو جاز للإنسان أن يحكم على نفسه بمستواها لما أمرنا الله بعدم تزكية أنفسنا.

لذلك فليس لأحد أن يحكم بما عنده من النعم والمواهب ولو كانت حقا، بمعنى أنه لو كان عالما بالفعل لما جاز له أن يلزم مكانة العالم المجتمعية ويجبر الناس على معاملته بمراسم التعظيم، فإن النبي عليه السلام هدد من أحب أن يتمثل له الناس وقوفا بأن يتبوأ مقعده من النار.

فإن جاءت المعاملة الخاصة من الناس تلقائيا دون طلب من العالم فلا شيء عليه وإلا فلا.

إذا ما الذي كان يقصده عمر بن عبد العزيز بوجوب أن نعرف أقدارنا فنلزم، وما هو نوع الالتزام، والمعنى هو أن يعرف المرء أنه مخلوق مملوك لربه، وما به من نعماء فإنما هي منه وحده، ووحده سبحانه من يستحق الثناء، فإذا أدرك الإنسان ذلك سقطت مبررات الغرور أو الكبر تلقائيا لأن الفضل كله لله، فعندها سيلزم قدره، أي قدر العبد المملوك فلا يجاوز حد التواضع وهو موضوع الالتزام.

تعالوا نحدثهم باللغة التي يفهمونها!

****

التناقض والتوتر هو دين الملاحدة والعلمانيين على طول الخط.

وبما أن الدين ليس مطروحا عندهم كدليل، فتعالوا نناقش تناقضاتهم باللغة التي يفهمونها.

فإيزيس ابنة سيد القمني ووريثة إلحاده، والتي أصابها الصراخ والانهيار ــ لا لموت أبيها ــ بل لرد فعل الناس الذي مَثّلَ لها ضغطا عصبيا هائلا، حتى خرجت تسب وتشتم الشيوخ والعلماء في حالة هيستريا كاملة!

لم يتوجه لها أحد بعدة أسئلة منطقية.

ما دمت مقتنعة بأن الإله وهم، والأديان خرافة، وأنكم أنتم المتنورون الذين عرفوا الحقيقة فلماذا تصيبكم ردة فعل الناس بهذا الهياج، مع أنه من المنطقي أن تشعروا بسعادة أهل الفكر في مواجهة الغوغاء؟!

فلا يوجد مفكر حقيقي أو عالم متمكن يمكن أن يشعر بالغضب أو العصبية من ردود أفعال الجهلاء أبدا، ما دام فعلا يعتقد أن من حوله جهلاء وأنه على الحق.

فهذه العصبية تصدر فقط عن الأفاقين المدعين الذين يعترفون في أعماقهم بالحق لكنهم ينكرونه استكبارا.

ثم ما معنى هذا الدفاع العجيب والغريب الذي دافعت به ابنة القمني عن أبيها!

فقالت موجهة كلامها لعموم الناس والمسلمين أن أباها ضحى بالأموال في سبيل الناس، وفي سبيل الوطن!!!

أمر عجيب جدا وكلام لا يمكن أن يصدقه معتوه. (هو انتوا محدثين إلحاد ولا ايه ؟!)

يـا أسـتاذة إيزيـس أبـوك كان ملحـدا، أعلـن وتفاخـر بأنـه ملحـد وكافـر باللفـظ والنـص، وبالتالي لا يوجـد مـكان أصلا لمفهـوم (التضحية) في ديـن الإلحـاد والملحديـن!

لأن التضحيـة ببسـاطة معناهـا بـذل النفـع في سـبيل حصـد الحسـنات للآخـرة، بالإضافـة إلى أن أي ملحـد يعلـم يقينـا أنـه لا يعيـش الدنيـا فكيـف يمكـن أن يضحـي بـأي شيء لأجـل غيـره؟!

بالإضافة إلى ما هو أفدح وأنكى!

فقولـك إن سـيد القمـني ضحـي لأجـل النـاس والوطـن نكتـة سـمجة نفاهـا القمـني العميـل بنفسـه في حياتـه، فقـد اعتـرف بنفسـه أن مجـرد بـوق مجنـد للغـرب، وقـال علنـا أنـه يفتخـر بالاسـتعمار الفرنـسي والإنجليـزي لمصـر

بـل إنـه دعـا في نفـس النـدوة لاسـتعمار مصـر مجـددا مـن الغـرب وتوسـل إليهـم أن يقـرروا غزوهـا بـأي صـورة عسـكرية أو فكريـة باعتبارهـم أهـل الحضـارة الذيـن انتشـلوا مصـر في زمـن الاحتـلال مـن الإسـلام!

أي أنـه كان ينـادي مجـددا بعـودة الاحتـلال الأجنـبي لبـلاده ولأهلـه الذيـن تقوليـن إنـه ضحـى لأجلهـم!

أي أنه كان عميلا مُعلنا عمالته دون أدنى حياء!

أما النكتة الأكبر منك فهي أنك قمت بدفن والدك في مقبرة!

وهـذا أمـر عجيـب سيسـتلزم سـخط (داروين) عليكـم، فالدفـن شـعيرة دينيـة منـذ آدم عليـه السـلام، وهي أمـر يخـص المؤمنيـن المتخلفيـن مـن أمثالنـا في نظركـم!

فـكان أن ينبـغي أن تكـوني أكثـر احترافـا فتتخلـصي مـن أبيـك بطريقـة مبتكـرة، كأن تجعليـه سـمادا عضويـا تقربـا للطبيعـة الـتي تعبدونهـا، أو تحـرقي جثتـه وتحتفـظي برمادهـا

(أهو يبقي تدريب عملي للمرحوم على اللي حيشوفه)

وآخر سؤال معلش!

هو أبوك سماك (إيزيس) ليه؟!

حاجة غريبة فعلا، فإيزيس وأوزوريس أسطورة فرعونية قديمة يعلم القاصي والداني قصتها وأنها أسطورة تعبر عن مدى تقديس القدماء المصريين لعقيدة البعث ويوم الحساب والآخرة؟!

فكيف يسميك أبوك بأسطورة تعارض الإلحاد على طول الخط!

يعني البعيد ملحد وجاهل كمان!

الهجرة إلى مجتمع كفار (قريش)!

****

مجتمع كفار قريش قبل ظهور الإسلام كان مجتمعا فاسدا من وجهة نظر العقلاء وأصحاب الضمير قبل حتى ظهور بوادر الرسالة الإسلامية التي كان نجدة لهؤلاء العقلاء

وقد اتخذ العديدون منهم شعاب الجبال مكانا يفرون إليه بعقولهم بعيدا عن مجتمع الشرك والظلم والطغيان، فاعتزلت هذه المجموعة دين قومها وعاداتهم وتقاليدهم، وأخذوا يسألون الله السلامة والهداية

وكان أشهرهم (زيد بن عمرو بن نفيل) والد الصحابي (سعيد بن زيد) رضي الله عنهما، وورقة بن نوفل، وغيرهم من الحكماء

بل إن النبي عليه السلام نفسه قبل البعثة كان يهجر قومه طويلا ويفر إلى غار حراء يتعبد ربه قبل أن يصله الوحي هناك

أتذكر معكم اليوم هذه الواقعة لأن التاريخ ـ كما أخبرنا النبي عليه السلام ـ أعاد نفسه مرة أخرى في آخر الزمان ولكن مع فارق ضخم وكبير.

هذا الفارق الضخم هو أن مجتمع العرب اليوم في زمن الفتن أسوأ من مجتمع قريش نفسها في الجاهلية بسبعين مرة!!

وهذا القول ليس فيه مبالغة كما أن عليه قرينة قوية جدا سنوضحها، رغم أنه قول رهيب وبالغ الخطورة إذ كيف يمكن أن يكون مجتمع الشرك القرشي أسوأ من المجتمع المسلم الحالي مرة واحدة فضلا على سبعين مرة دفعة واحدة

ولشرح الأمر نقول بأن المعتزلين من حكماء قريش لقومهم لم يكن يعجبهم مجتمعهم القرشي لانتشار الشرك والظلم وهذا رغم وجود

الأخلاق العربية الباذخة والأصيلة في هذا المجتمع

فالكرم الفياض والمروءة الباذخة والشجاعة ونصرة الضعيف والجوار والكرامة، كلها صفات أخلاقية بلغت القمة في مجتمع قريش رغم وجود آفة الشرك والظلم والرق

لكنهم على الأقل لم يكونوا أبدا يصفون العهر بالفضيلة، أو سحق الضعفاء بالشجاعة، ولم يكن من بينهم من يستسلم لعدوه وينحاز له على قومه، وكان الواحد منهم يفضل الموت في سبيل كرامته وشرفه وعرضه، وكانت الكلمة عندهم تحل محل القسم والوفاء بالعهد أقوي عندهم من خوف الموت ذاته، واحترام الكبار وأصحاب المواهب كان عقيدة لديهم

هذه الصفات كلها كانت في مجتمع قريش، تلك الأخلاق التي كانت موجودة فجاء الإسلام وأَقَرّها وشجعها بقول النبي عليه السلام (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

أي أنه جاء ليتمم أخلاقا موجودة لا لينشئها من العدم

والسؤال الآن.

أين مجتمعات وحكام العرب من هذه الأخلاق يا تري؟!

وإذا عقدنا المقارنة بيننا وبينهم فمن الرابح، نحن أم هم؟!

وإذا وضعنا نتيجة المقارنة أمام قول النبي عليه السلام لصحابته ـ وهم أعلي درجة في المسلمين على الإطلاق ـ قال لهم النبي عليه السلام فيما معناه

(يأتي زمان علي أمتي يكون القابض فيه على دينه له أجر سبعين منكم)

وتخيلوا مدى خطورة الحديث، فالقابض على دينه لا يكون له أجر سبعين من مجتمعه بل سبعين من الصحابة! فتخيلوا

لماذا يا تري؟!

لأن القابـض والمتمسـك بمبـادئ دينـه وعقيدتـه اليـوم سـيواجه مـا لـم يتخيلـه الصحابـة يـوم نـزول الإسـلام عليهـم وهـو يـري انقـلاب الحـال بلـغ درجـة العتـه والجنـون

وبالتالي

فإذا كان القابض على دينه له أجر سبعين من الصحابة

فهـل عندكـم شـك أن الأشـكال الـتي نراهـا تتصـدر المجتمـع اليـوم سـيكون وزرهـا أكبـر مـن وزر المشـركين بسـبعين مـرة؟!

وقـد رأينـا حكامـا مـن العـرب مثـلا يبذلـون أموالهـم ونفوذهـم في خدمـة أغـراض اليهـود في تشـويه الإسـلام بأكثـر ممـا يفعلـه اليهـود أنفسـهم

بينمـا أبـو سـفيان عندمـا كان مشـركا وعـدوا للنـبي عليـه السـلام وسـأله امبراطـور الـروم عـن حقيقـة النـبي عليـه السـلام أجابـه أبـو سـفيان بالصـدق ولـم يتفـوه بكلمـة تسـئ للنـبي عليـه السـلام كذبـا

فعـل هـذا وهـو مشـرك، فمـن أفضـل يـا تـرى أبـو سـفيان عندمـا كان مشـركا أم هـؤلاء؟!

والتاريـخ يكـرر نفسـه بدليـل أننـا أصبحنـا اليـوم في الزمـن الـذي نصحنـا فيـه النـبي عليـه السـلام فقـال:

(يُوشِـكُ أَنْ يَكُـونَ خَيْـرَ مَـالِ المُسْـلِمِ غَنَـمٌ يَتْبَـعُ بِهَـا شَـعَفَ الجِبَـالِ وَمَوَاقِـعَ القَطْـرِ، يَفِـرُّ بِدِينِـهِ مِـنَ الفِتَـنِ)[15]

ولـو كان مجتمـع قريـش المشـرك بيننـا اليـوم، لصـارت الهجـرة ضـرورة إليـه لا منـه!

(15) ـ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

متى نكف عن عبادة (العجول)

****

سيدنا موسي عليه السلام، عندما ذهب إلى لقاء ربه في الأربعين ليلة، أخبره الله تعالي أن الفتنة عصفت ببني إسرائيل وأنهم عبدوا (العجل) الذي صنعه لهم (السامري).

وَذُهِل موسي من الخبر بالطبع، إذ أن بني إسرائيل شاهدوا بأعينهم منذ أيام قليلة عددا رهيبا من المعجزات المادية والحسية أمام أعينهم بداية من هزيمة سحرة فرعون، إلى غرق فرعون وجنوده وانشقاق البحر، فكيف يمكن أن يؤثر فيهم بعد ذلك داعية ضلال مثل السامري؟!

ولكن ذهول موسي انقلب إلى غضب هائل وكاسح، عندما رجع إلى قومه وشاهدهم فعلا يعبدون العجل بل ويتبتلون في عبادته وحبه!

[وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ]

{البقرة:٩٣}

فرغم أن موسي كان يعلم الخبر بالفعل من ربه عز وجل، إلا أن معرفة الخبر شيء، ومشاهدة الكارثة بالعين شيء آخر تماما

لهذا كان غضب موسي هادرا حتى أنه نسي نفسه فألقي ألواح التوراة من يده وهو يكاد ينفجر ويصرخ سائلا قومه كيف عبدتم العجل، وأين عقولكم؟!

نفس هذا الشعور هو الذي يمكن أن يشعر به كل من قرأ نبوءات النبي عليه الصلاة والسلام في شأن أحداث آخر الزمان

فالآلاف طالعوا محتوي الأحاديث، والفتن العجيبة التي سيقع فيها المجتمع المسلم، لكننا كنا نقرأ ونندهش ولا نتخيل كيفية وقوعها

لكثـرة مـا بهـا مـن مـآسي تخالـف أدني عقـل

ورغـم كثـرة الأحـداث الـتي وقعـت فعـلا وتحققـت إلا أن أغربهـا بالنسـبة لأي عاقـل، هـو كميـة التبجـح في نشـر الظلـم، وكميـة الوقاحـة في الدفـاع عـن الفواحـش والزندقـة

إن وقـوع الظلـم والفُجْـر فيـه وكثـرة أنصـاره المؤمنيـن بـه ليـس هـو الأمـر الـذي يثيـر الدهشـة والذهـول

بل الذهول الحقيقي يكمن في مدى حماسة المدافعين عن الظلم

وحماسـة المدافعيـن عـن البـدع والخرافـات، وحماسـة المسـتهزئين بـكل فضائـل الشـريعة والأحاديـث والأحـكام

حماسـة لا يمكـن تفسـيرها بـأن هـؤلاء النـاس هُـم جميعـا مـن المنافقيـن والمطبليـن والمسـتفيدين مـن هـذا الجـو

حماسـة عجيبـة وغريبـة تجعلـك تشـك في نفسـك حقـك وتتسـاءل هـل يؤمـن هـؤلاء النـاس بمـا يقولـون فعـلا؟!

لأنهـم لـو كانـوا كذلـك لتفوقـوا عـلى بـني إسـرائيل عندمـا تركـوا عبـادة ربهـم وهرعـوا لاتبـاع السـامري الـذي اسـتخدم السـحر والخـداع ليوهمهـم بربوبيـة العجـل

رغـم أن العجـل لـم يقـدم لهـم أدني فائـدة أو ينقذهـم مـن شيء وغايـة مـا فعلـه السـامري أن جعلـه عجـلا ذهبيـا يلمـع في الشـمس ويخـور في الظـلام

لكن خواره ولمعانه لا يعود عليهم بأدنى فائدة فعلية في أيديهم!

ورغـم ذلـك وقفـوا يدافعـون عنـه ويتفاخـرون عـلى المؤمنيـن ويهتفـون بهـم:

(انظـروا إلى قـوة لمعـان العجـل، اسـمعوا إلى خـواره المرعـب، هـذا هو العجـل الـذي شـرفنا في العالـم بعـد أن هـزم كافـة عجـول الأرض الـتي هي مـن لحـم ودم بينمـا عجلنـا مـن الذهـب!)

ولم يسألوا أنفسهم سؤالا واحدا منطقيا.

ما الذي فعله لنا العجل في المأكل والمشرب والعلاج؟!

وماذا سنفعل يا سامري في المعيشة بعد أن أنفقت الذهب كله على تلميع العجل؟!

هل سنأكل ونشرب ونسكن من خوار العجل ولمعانه؟!

وإلى الآن لم يجد العقلاء إجابة لهذه الأسئلة

لماذا أصبح تجديد الخطاب الديني واجبا؟!

****

يتساءل الكثيرون ما هي الضرورة الملحة لتجديد الخطاب الديني عند الحكومات العربية بالتحديد، ويظن البعض أن الهدف هو محاربة إرهاب الجماعات الإرهابية، بينما الهدف أعمق وأخطر.

فلو كان الهدف هو محاربة الجماعات الإرهابية لكان واجبا علينا أن نسلك سلوك المحافظة على الثوابت لا أن نفتح باب التجديد بهدم الثوابت، ونبرز وجود الشريعة في القوانين المدنية التي عندنا كدفاع منا ضد مزاعم الإرهاب الذي يكفرنا

لأن جماعات الارهاب منذ السبعينات وهي تستغل الهجوم الإعلامي على الثوابت حتى تقوم بتكفير المجتمع كله لا الحكومات وهم يستندون أصلا لمصائب دعاة التجديد التي تتنوع بين إنكار القرآن وإنكار السنة المشرفة!

وبالتالي هناك هدف استراتيجي للتجديد، لأن مبادئ الشريعة لا يمكن أن تسبب استقرارا الآن!

نعم لا تتعجبوا.

مبادئ الشريعة لا يمكن لحكومة عربية اليوم أن تغامر بتطبيقها، لأن الحكومات لم تخبر الشعوب بجوهر الشريعة الإسلامية وأحكامها ومبادئها، والتي منها.

أولا:

هناك مبدأ في الشريعة متفق عليه وهو مبدأ (من أحيا أرضا مواتا فهي له)، فتخيلوا لو طبقنا هذا المبدأ لأصبحت فوضي واستطاع كل مواطن أن يستصلح قطعة ارض بجهوده الذاتية أن يمتلكها دون أن

يدفع للدولة ثمنها ولا ضرائبها ولا ... الخ

كما أن تطبيق هذا المبدأ سيشجع على زيادة الرقعة الزراعية، واعاقة اقامة المدن السكنية الجديدة ومشاريع الاسكان ونحوها بكل ما تجلبه من ارباح!

ثانيا:

هناك مبدأ في الشريعة يحذر الناس من السكوت عن الظلم أو الظلمة وإلا عاقبهم الله بعذاب من عنده يشمل الأوبئة وقلة القوت وغيرها من العقوبات باعتبار أن نهي الظالم عن ظلمه مبدأ رئيسي في الشريعة.

فتخيلوا لو طبقنا هذا الأمر لحدثت بلبلة كبيرة تمنع التطوير والاصلاح الاقتصادي!

ثالثا:

من مبادئ الشريعة أيضا أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وهذا مبدأ قرآني لو طبقناه سنخسر مدينة الإنتاج الإعلامي بأكملها، ومعظم قنوات الإعلام العربية!

رابعا:

من أخطر مبادئ الشريعة أيضا أن ثروات البلاد ومواردها ملك خالص للشعوب، يتنعمون فيها وتكون وظيفة الحكومات توزيع هذه الثروات وإعانة كل متعسر واعتبار المعونة هنا حقا خالصا له لا هي من الدعم ولا من الإحسان، بل هي حق أصيل له

وطبعا لا يمكن القبول بهذا وإلا أصبحت الشعوب والعوام هم أصحاب البلد!،

فأين يذهب السادة والكبار؟!

خامسا:

أيضا من أهم مبادئ الشريعة تحريم الضرائب تحريما تاما في حالة توافر موارد أخرى للدولة وإن لم تتوفر فالضرائب تصبح فرضا على الأغنياء وحدهم دون الفقراء فأي فقير ليس لديه فائض مال يدفع عنه الزكاة تسقط عنه الضرائب أيضا بالإجماع!

وهذا مبدأ يهدم النظام الضريبي العربي كله لأن الضرائب لا تطبق أصلا إلا على الفقراء مستحقي الدعم

لذلك لابد أن نعيد صياغة مفهومنا للشريعة والدين.

فهل حقا تريد الحكومة تجديد الخطاب الديني بهذه المعاني؟!

بالطبع لا.

فالحكومات العربية تفضل التجديد بالمعاني الأخرى كحفلات الترفيه، ومساخر مباريات المصارعة، وأفلام الانحراف وغيرها من الأنشطة التي تجعلهم يواكبون العالم المتقدم!

قضية المعراج لم تكن قضية دينية!

****

شرحنا سابقا الفوارق الرئيسية بين الشرق والغرب، وأهم فارق في المواجهات التاريخية أن عداوة الشرق التي تتمثل في الصين وروسيا والهند مثلا، عداوة مباشرة باليد الخشنة والقوة المفرطة

فهم لا يميلون للمواجهات غير المباشرة أو المواجهات الفكرية، لهذا لم يساهم الشرق في عدائه للحضارة الإسلامية مساهمة فعالة في حركة (المستشرقين) والتي لجأ إليها الغرب الأوربي ثم الأمريكي لنزع ثوابت الدين والوطنية عبر أبواق إعلامية تثير ضجة من داخل المجتمع المسلم نفسه تحت ادعاء التجديد والتنوير، وتحقق أهداف الغرب في استمرار التفكك والتشرذم

وقد تناولت شرح دور حركة التغريب في مصر بالتفصيل في كتابنا (إسلام بلا تنظيمات)[١٦].

ويهمنا من تلك المرحلة أن نفهم بأن ما أثاره (إبراهيم عيسى) حول إنكار المعراج لم يكن تناولا دينيا على الإطلاق بل كان تناولا سياسيا محضا.

فقد سبق إبراهيم عيسى إلى هذا الأمر (يوسف زيدان) الذي ظهر قبل سنوات منكرا وجود المسجد الأقصى في القدس وزاعما أنه موجود في الطائف لا في فلسطين.

في نفس الوقت الذي ظهرت نفس هذه النداءات على لسان إعلاميين من الخليج في نفس السياق وكلهم كانوا يأخذون من نفس المنبع.

فقد اعتمدوا في تلك الأقوال على سرقة أفكار المستشرقين أو أفكار

(16) ـ صدر الكتاب عن دار حواديت للنشر والتوزيع ـ2021

بعض الكتاب الإسرائيليين في حربهم المعنوية ضد الحق العربي في فلسطين

ومسألة إنكار المعراج وإنكار وجود المسجد الأقصى في فلسطين منقولة بحذافيرها من كاتب إسرائيلي ونقلها عنه يوسف زيدان باعتبارها من بنات أفكاره!

وليس هذا غريبا عليه بعد أن تم ضبطه متلبسا بخيانة علمية لا شك فيها عندما زعم أن إنكار وجود الأقصى وإنكار المعراج موجود في كتب (ابن تيمية) و(البخاري) و(ابن القيم)!

وهي فضيحة متكاملة الأركان لأن زيدان ذهب إلى كتابات الأئمة الراحلين ونقل حديثهم وخلافهم عن حكم الصلاة في مسجد قبة الصخرة (الذي بناه عبد الملك بن مروان)، وزعم أن حديثهم يخص (المسجد الأقصى) مستغلا جهل الناس بالفارق الشاسع بين المسجدين!

ثم خرج زيدان بتصريح أغرب يقول فيه عن (صلاح الدين الأيوبي) ـــ بالتحديد ـــ أنه أحقر شخصية في التاريخ!

وبغض النظر عن هذا الفجور الذي تحدث به عن قائد عملاق يحترمه الغرب نفسه قبل المسلمين، فإن التصريح نفسه بالغ الغرابة لعدم وجود أي مبرر لهذا الوصف الذي يستبعد فيه زيدان وصف الحقارة عن جنكيز خان وستالين وهتلر ونابليون ثم يلصقه بصلاح الدين

وعلى نفس المنوال جاء عيسى على شاشة قناة (الحرة) الأمريكية ليمشي على نفس المنوال.

وقناة الحرة ـــ وفق ما كشفه الصحفي الأردني (أسامة فوزي) ـــ هي قناة تابعة للحكومة الأمريكية بميزانية حكومية وموجهة فقط للشرق الإسلامي وغير مسموح بدخول بثها للولايات المتحدة نفسها!

لماذا؟!

لأن القانون الأمريكي يمنع الحكومة من امتلاك أو توجيه قنوات فضائية أو أدوات إعلامية رسمية للداخل الأمريكي باعتبار أن الإعلام الموجه ضد ثوابت الديمقراطية!

لكن قانونهم يسمح بهذا إن كانت القنوات الموجهة تبث للخارج وتخدم السياسة الأمريكية في العالم!

وقد أعلن الصحفي المصري (حافظ الميرازي) أن قناة الحرة تعاقدت بمبلغ ضخم مع إبراهيم عيسى وإسلام بحيري بهدف خدمة التوجهات الأمريكية فيما يخص محو الثوابت الإسلامية المستقرة عن الإسلام وحضارته في نفوس الناس

نخلص من هذا لنتيجة حاسمة من نقطتين:

الأولى: أن الهدف من التشكيك في المعراج وفي مكان وجود الأقصى وفي شخصية صلاح الدين تحديدا هو محو القيمة المعنوية لقضية فلسطين ومكانة القدس لدى العرب والمسلمين واعتبارها قضية داخلية تخص الفلسطينيين وحدهم لا سائر المسلمين!

الثانية: أن السياسة الأمريكية في هدم ثوابت الدين والعقيدة ليست سياسة خفية بل هي معلنة ومفضوحة ويمارسها عملاء بالمعنى الحرفي للكلمة دون أي خوف أو قلق وتحت سمع وبصر الحكومات التي أسست شرعيتها على رضا الكفيل الأمريكي!

والحكومات العربية تربط استقرارها بالرضا الأمريكي رغم عشرات الأمثلة على سقوط كافة الدول التي استندت على دعمهم وآخرهم أوكرانيا!

الزعيم الإسلامي (كيم جونغ)، والمناضل العربي (رتشارد فويت)

****

الزعيم الإسلامي (كيم جونغ أون) هو رئيس كوريا الشمالية الشهير، نعم، كوريا الشمالية الشيوعية والتي هي بطبيعة الحال أبعد ما يكون عن الإسلام!

لهذا من حق القارئ الكريم أن يتساءل كيف يمكن أن نصف الزعيم (كيم) بالإسلامي؟!

والواقع أن هذا الوصف يشابه نفس الوصف الذي أطلقه المسلمون على (هتلر) عندما نشروا إشاعة أن هتلر قد أسلم وسمى نفسه (الحاج محمد هتلر) ... حدث هذا والله فعلا!

والسر في ذلك أن العرب وقت الحرب العالمية الثانية وجدوا هتلر يدعم القضية الفلسطينية دعما خرافيا وتواصل مع الحاج (أمين الحسيني) مفتي القدس وقائد المقاومة الفلسطينية ضد اليهود في أربعينيات القرن الماضي، وأعلن هتلر أن اليهود من ألد أعدائه وأنه يساند الحق العربي في فلسطين وهذا هو نفسه مع فعله الزعيم الكوري الشمالي الذي شاهده العالم أجمع وهو يخطب رافضا الاعتراف بالقدس عاصمة لفلسطين فقال:

(إن كوريا الشمالية لا تعترف بدولة اسمها إسرائيل أصلا، فكيف نعترف بسيادتها على القدس، وإن كوريا الشمالية تعترف بحق فلسطين على كامل أرضها المحتلة ـــــ عدا الجولان ـــــ والتي نعترف بأنها تابعة لسيادة سوريا العربية!)

فلنا أن نتخيل هذا الرجل الذي يقبع في آخر الدنيا حرفيا، وليست له أدنى مصلحة مع العرب المنبطحين للغرب الأمريكي، ومع ذلك يرفض الاعتراف بإسرائيل من الأساس ويطلق تصريحا لم يجرؤ حاكم عربي واحد على النطق بكلمة واحدة منه، أو حتى عبارة واحدة تجرح

مشـاعر إسـرائيل واليهـود!

وبالتـالي ربمـا اسـتحق (كيـم جونـغ) وصـف الزعيـم المسـلم أكثـر منهـم، بعـد أن سـمعنا تصريحـات الحـكام عـن أن إسـرائيل حليـف محتمـل، وأنـه ينبـغي المحافظـة عـلى أمـن إسـرائيل!

أمـا الزعيـم العـربي (ريتشـارد فويـت) فهـو ليـس عربيـا طبعـا ولا مسـلما، بـل هـو عضـو برلمـان في أيرلنـدا، أي أنـه في أعـلي نقـاط أوربـا تقريبـا، وتابـع عمليـا للسياسـة البريطانيـة والأوربيـة ومصالحهـم كلهـا مـع الغـرب.

ورغم هذا....

يقـف في البرلمـان الأيرلنـدي في ثـورة عارمـة، ويصـرخ موجهـا خطابـه للحكومـة الأيرلنديـة الـتي تطالـب البرلمـان الأيرلنـدي بإدانـة روسـيا إدانـة عنيفـة لمـا فعلتـه بأوكرانيـا فقـال:

(وأيـن كان خطـاب رئيـس الحكومـة عندمـا طالبنـاه بإدانـة إسـرائيل لمـا تفعلـه بالشـعب الفلسـطيني مـن جرائـم وتنكيـل طيلـة سـبعين عامـا، لمـاذا تجاهلهـم رئيـس الحكومـة، ولمـاذا لـم يطالبنـا بإعـلاء القيمـة الإنسـانية في مواجهـة إسـرائيل الوحشـية، ولمـاذا لـم يتعاطـف مـع الفلسـطينيين كمـا يتعاطـف اليـوم مـع أوكرانيـا)

فتخيـل أن البرلمـاني الأيرلنـدي (فويـت) يقـف ليمسـح الأرض بكرامـة رئيـس حكومتـه لأجـل الفلسـطينيين بينمـا الحكومـة الفلسـطينية تتنكـر لشـعبها كلمـا هاجمـت إسـرائيل غـزة أو اقتحمـت القـدس.

أمـا الحكومـات العربيـة فقـد تركـت حـتى التنديـد، وهرعـت إلى التطبيـع الكامـل وتذهـب وفودهـا الرسـمية كل عـام للتهنئـة بعيـد إنشـاء إسـرائيل الـذي نعرفـه جميعـا بيـوم (النكبـة)!

كيف يعلمون أطفالهم، وكيف نعلم أطفالنا؟!

****

تأملوا الصور المنتشرة لليهود وللغرب وهم يدربون أطفالهم، تأملوا وتألموا.

الصورة الأولى من إحدى المنافسات الرياضية في أوربا وقد جاء المشجعون وأطفالهم بأزياء الحملات الصليبية التي قادتها أوربا على الشرق العربي وارتكبوا فيها مئات الآلاف من جرائم الحرب بداية من قتل العزل والشيوخ والأطفال ونهاية بحرق القري والمدن بكل ما تحويه وتخريب المباني والزروع والثمار.

ومع هذا فهم هناك يُعَلّمون أطفالهم في المدارس تاريخ الحملات الصليبية بفخر واعتزاز، وليس هذا فقط بل تقوم الأسرة هناك بدور مماثل حيث يحرص الآباء على تعليم أطفالهم أبجديات تاريخ الصليبية باعتبارها من مفاخر تاريخهم بكل ما تحويه من الوحشية!

والصورة الثانية والثالثة صور لأطفل إسرائيل من سن الثالثة من العمر!، وحتى سن العاشرة يدربونهم عمليا على السلاح الخفيف والثقيل حتى يعتاده الأطفال ويعتادوا صوته وآثاراه ويجعلون هذا التدريب من طقوس التعليم للأطفال في تلك السن حتى يشب الأطفال وهم معتادون على صحبة السلاح واستخدامه.

وليت الأمر اقتصر على هذا...

ففي تحقيق لجريدة (فيتو) المصرية عام ٢٠١٧م نشرت الجريدة ترجمة لبعض المناهج المصاحبة لهذا التدريب وبعض صور الأهداف التي يتدرب عليها الأطفال وهي تشمل المساجد وصور القدس الشريف ورسومات للعرب في زيهم الفلسطيني سواء كانوا رجالا أو نساء، بحيث يكبر الطفل وقد تم تلويث فطرته بأن قتل الأطفال والنساء وضرب واقتحام المساجد هو من أشرف الأعمال التي يدعو لها الدين اليهودي!

وهـذا التدريـب هـو الـذي وقـف خلـف الممارسـات الوحشـية الـتي ارتكبتهـا جيـوش أوربـا وأمريـكا وإسـرائيل في العصـر الحـالي في بلادنـا وبـلاد الشـرق الأقـصى لأن الفضائـح المنتشـرة للأعمـال الإرهابيـة الـتي مارسـتها جيوشـهم النظاميـة مجـرد شيء يسـير مـن كميـة الجرائـم المخفيـة الـتي وصلـت بجنـود الغـرب واليهـود إلى أن بعضهـم كان يلجـأ للقتـل والقنـص عـلى سـبيل التريـض والهوايـة!!

والأهداف تكون أهدافا بشرية من مواطني البلاد المحتلة

وبالطبـع لسـنا بحاجـة للتعليـق أو حـتى مجـرد المقارنـة بيـن مناهجنـا ومناهـج الغـرب واليهـود، أو بيـن إعلامنـا وإعلامهـم، أو بيـن سياسـتنا وسياسـتهم.

فنحـن هنـا نتعلـم شـيئا واحـدا فقـط، وهـو أننـا نحـن الإرهابيـون، وتاريخنـا هـو تاريـخ الإرهـاب لا الحضـارة، وكتبنـا التعليميـة في الشـريعة والسـنة كتـب إرهاب!!

أمـا الغـرب صاحـب حقـوق الإنسـان فمناهجهـم مناهـج الحضـارة ومناهج حقـوق المواطنين واحـترام الآخر!

الفارق بين التأييد والتطبيل؟!

****

من يبحث عن المنطق في أي شيء الآن، فهو أقرب للمجانين منه إلى العقلاء!

فالأصل أنك تتابع أفعال الحكومات وحيثما وجدت إصلاحا أشدت به وحيثما وجدت خيانة أو فسادا استنكرت، وإن لم تستطع النطق بالمعارضة الصريحة فاسكت على الأقل فهذا أسلم لنفسك ودينك ووطنك

وبالطبع أنا هنا أتحدث عن المخلصين لا المنتفعين أو المطبلين بالأجر.

ولو أخذنا أمثلة بسيطة جدا من سياسات الحكم في مصر والسعودية، لاكتشفنا تناقضات رهيبة تجعلك تشد في شعرك غيظا ممن يبررها أو يمدحها!

ففي مصر قامت شرعية الحكم أصلا على مبدأ (الوطنية)، وفي السعودية قامت شرعية الحكم على مبدأ (القرآن والسُنة)

وبغض النظر عن السياسات السابقة في البلدين والتي كانت على الأقل تتميز بنوع من الحياء والخجل تجاه القضايا المصيرية فلا يجاهرون بنقيضها

فالسؤال الحقيقي الآن ما هو مبرر الدفاع أو التبرير للحكومات المعاصرة بعد كل ما نشاهده اليوم من مخازي حقيقية لا يمكن تبريرها بأي منطق أو عقل.

ففي مصر لو أخذنا مثالا بسيطا واحدا وهو ثورة يناير...

ألم نسمع ونشاهد التصريحات التي تكررت منذ عام ٢٠١٩ أنها كانت مؤامرة خارجية، وأن البلد كانت على وشك السقوط والانتهاء لولا أن الله سلم وجاءت القيادة الوطنية الحكيمة التي أنقذت البلاد من الثوار العملاء أصحاب التمويل!

طيب تمام.

من إذا الذي وقف كل عام في ذكرى ٢٥ يناير ليحييها ويحيي الثوار الذين أنقذوا مصر منذ عام ٢٠١٤ وحتى عام ٢٠١٨م؟!

بلاش دي

كل خريجي الكليات العسكرية والشرطة الذين التحقوا بكلياتهم عام ٢٠١١ حصلوا على وسام جديد هو (وسام ٢٥ يناير)، ولا زال يُزَيّن زيهم العسكري حتى اليوم؟!

فنحن نحتاج هنا أن نفهم، هل اكتشفت السلطة في مصر أن يناير كان مؤامرة في عام ٢٠١٩؟!

وقبلها كانت تراها ثورة مجيدة غيرت مصر والعالم.

ولو كانت كذلك واكتشفت السلطات فجأة أنها ليست ثورة، إذا كيف أنقذت القيادة الحكيمة مصر أثناء الثورة بينما لم تكن تعلم أنها مؤامرة عندئذ؟!

ولو كانت تعلم أنها مؤامرة فهي مصيبة كبرى، فهذا معناه أن القيادة الحكيمة أنقذت مصر من الخيانة وفي نفس الوقت أعطت الخونة التحية العسكرية ووصفت من سقط فيها بالشهداء وجعلت تاريخها مُسمى لوسام عسكري!

وفي السعودية...

جاءت الشرعية مبنية على التوحيد والإيمان بالكتاب والسنة والعقيدة السلفية التي كانت تتشدد حتى في المباحات، وظل علماؤها طيلة ثمانين عاما لا يفتخرون بشيء إلا بفخرهم أنها دولة قامت على

التوحيد وعلى اتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام وهو نِعْم الفخر

ثم فوجئنا بسياسات الحكومة الحالية لا تتخفف من التشدد مثلا بل تنقلب على أصول الكتاب والسنة فضلا على فروعها!

حتى وصل الأمر لمنع بث الصلوات خلال شهر رمضان، وتخفيض صوت مكبرات الصوت عند الآذان؟!

وعليه أيضا نحن بحاجة إلى أن نفهم...

هل نزل شرع ووحي جديد نسخ ما نزل على محمد عليه الصلاة والسلام، وبناء عليه تم تغيير الأحكام واعتبار المجون المطلق من الحلال الزلال؟!

وطالما أنه لم تنزل شريعة جديدة هناك، فمن على الحق!

هل الحكومة الحالية بمنهجها الجديد وبهذا تبطل شرعية الحكومات السابقة، أم أن الشرعية مع الحكومة القديمة وبالتالي فالحكومة الجديدة على الباطل؟!

وفي كافة الأحوال؟

كيف يستمر المؤيدون على نفس التأييد مع هذا التناقض المطلق؟!

أنجح طريقة لمعرفة المستقبل!

****

يبحث الإنسان دوما عن المستقبل وتجده يحاول بكل الطرق اللجوء لوسيلة تمنحه شعورا بالأمان تجاه ما هو قادم...

والوسائل متعددة وقد جربها الكثيرون من مختلف الحضارات، فمنهم من لجأ لكتب السحر، ومنهم من لجأ لكتب النبوءات من أمثال مثقفي هذا العصر الشغوفين بكتاب نوستراداموس والراهبة العمياء!

ومنهم من يلجأ لمشايخ الروحانيات، ومنهم من يلجأ لقراءة الكف والعرافين وما يسمى استحضار الأرواح وقراءة الفنجال والكف!!

الأمر الطريف في هؤلاء جميعا أنهم ليسوا من الأميين أو معدومي الثقافة، بل منهم مثقفون وإعلاميون كبار، بل الأنكى من هذا والمضحك حقا، أن معظم هؤلاء من شلة المجددين والعلمانيين المحاربين ليل نهار للقرآن والسنة.

طبعا باعتبار القرآن والسنة هذه الأيام من كتب التراث المنتقدة والتي يتمسك بها الإرهابيون أو الإخوان والسلفيون فقط!

والسؤال الحقيقي الآن....

بأي وجه يرى هؤلاء أنفسهم وهم يرفضون نبوءات النبي عليه السلام في أحاديث الفتن وأشراط الساعة، بينما يقبلون خرافات المشعوذين وكتب المخرفين التي لا يلجأ لها إنسان لديه ذرة عقل أو لديه أبجديات التفكير العلمي!

النبي عليه الصلاة والسلام ترك لنا ميراثا نبويا هائلا موجود في كتب الحديث عنوانه (**باب الفتن وأشراط الساعة**)

احتوى هذا الباب على أكثر من مائة حديث فيها أخبار زماننا هذا والزمن الذي يليه بشكل دقيق ومذهل، حيث جاءت الأحاديث صريحة وواضحة وليست كنبوءات العرافين غامضة وعامة، بل جاءت تحمل أخبارا وعلامات محددة وأوصاف لزمن الفتن الذي نعيشه بدقة.

ليس هذا فقط بل احتوت على روشتة العلاج أيضا، فالنبي عليه السلام كان يذكر العلامة من علامات زمن الفتن ويطرح الحل الواجب معها...

وقد تحقق نحو ثمانين بالمائة من وقائع تلك الأحاديث، وتحققها على أرض الواقع يثبت نبوة النبي عليه السلام حتى للعميان

وبالتالي...

وبمنطق التفكير العلمي فالواجب أنه إذا صحت الوقائع تصح المبادئ، أي أن وجود الوقائع الفعل يعني صحة روشتة العلاج التي طرحها النبي عليه السلام

ولهذا فأي إنسان يبحث عن دواء للحيرة التي نعانيها، وأي إنسان يبحث عن النجاة بأهله وولده من زمن الهرج والقتل والفتن، فليس عليه إلا قراءة وصايا النبي عليه الصلاة والسلام وتنفيذها، فإنه من أكبر الحماقة أن نتوط في جدل مجددي آخر الزمان، ونترك الأحاديث المعصومة بالوحي الإلهي

والأحاديث المشار إليها موجودة في كتب كثيرة أهمها كتاب (**النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير**)، وكذلك في كتاب أحداث الساعة للشيخ العريفي

وأيضا في كتاب (**فقه السنة في النجاة من الفتن وأحداث آخر الزمان**) وهو الكتاب الذي شرفت بإصداره وعالجت فيه أحاديث الفتن التي وقعت بالفعل.

(الملل) أخطر من الكبائر

****

هل تتخيلون أن الله عز وجل يمكن أن يرد أحدا أتى إليه عابدا أو داعيا أو تائبا مهما كانت ذنوبه؟!

الجواب بالقطع لا.

فالله يدعو في القرآن كافة المدبرين والمشركين أن يعودوا لرشدهم، فكيف يمكن أن يرفض الله مؤمنا عابدا.

لكن المصيبة أن هناك أمرا واحدا إذا اقترن بأي فعل طاعة أو خير، فسيرده الله على صاحبه!

ألا وهو (الملل)

تلك الصفة التي لم نتخيل في كوابيسنا مدى خطورتها، باعتبار أن الملل والسأم صفات بشرية عادية

وهي كذلك بالفعل.

لكن خطورتها أنها لا تجوز في أعمال العبادة لأنها تفسدها تماما كما يفسدها الشرك والرياء

وهذا هو سر وصية النبي عليه السلام لنا في عبادة النوافل، حيث حذرنا من أدائها مع الشعور بالسأم أو الكلل وحذرنا من قراءة القرآن والصلاة وحتى فعل الخيرات والخدمات للناس ونحن نشعر بالضجر والسأم

بل الكارثة الأخطر من تأثير الملل على العبادة هي تأثيره في انهيار العرب جميعا في العصر الحديث، وهذه والله بلا أدنى مبالغة، بل وبشهادة أعدائنا أنفسهم

لأننا لا نعرف أنفسنا كما لا نعرف عدونا بينما يعرفنا عدونا بأكثر مما يعرف نفسه.

يعنى ايه الكلام ده يا ترى.

معناه ببساطة أن أنه في أي كارثة تخص بلادنا العربية أو مذبحة أو احتلال في العقود الأخيرة يكون رد فعلنا واحد لا يختلف إطلاقا، نغرق في الاستنكار والحملات المضادة بحماسة هائلة، لكنها حماسة ـ لو طالت ـ لا تستمر لأكثر من أسبوع، وبعدها مباشرة يسكن كل شيء ويهدأ كل شيء في انتظار كارثة أخرى ليثور الأمر من جديد!! ...

طب نسميه ايه ده؟!

ولا يعلم الكثيرون أن هذه الاستراتيجية مقصودة ومصنوعة ومطبوخة وتم إيقاع العرب تحديدا فيها بمخطط طويل ظهرت نتائجه المثمرة كما ترون، وليس هذا المخطط سريا أو خافيا بالمناسبة فخصومنا يدركون جيدا أننا لا نقرأ وإن قرأنا لا نستوعب وإن استوعبنا لا نطبق!

تحدث (شيمون بيريز) في مذكراته وكذلك مُنَسّق أجهزة الأمن الإسرائيلية (جوردون توماس) عن هذا المخطط في كتابه (جواسيس جدعون) كذلك نقله كاملا لنا مفكرنا الراحل (هيكل) في كتابه (المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل)،

تحدث هؤلاء ووصفوا كيف تمكن الإسرائيليون والغرب من دراسة الشخصية العربية دراسة متعمقة وعرفوا مدخلها الرئيسي لقتل أي محاولة تغيير حقيقية، وكان سبب هذه الدراسة معجزة توحد العرب في حرب أكتوبر التي كانت التجربة الوحيدة المعاصرة التي بزغت فجأة فأرهقتهم طويلا، وبينما نحن نتعارك منذ ثلاثين عاما حول حرب أكتوبر نفسها ونشوهها توصلت دراساتهم لحقيقة هامة في الشعب العربي، وهي أن العربي (ملول) ...

نعم هكذا وصفنا جوردون توماس وغيره بالنص

العربي ـ مهما كان مركزه أو علمه ـ سريع الملل جدا رغم حماسته الفياضة.

وتفسير هذا التناقض أن العربي أشبه بموجة بحرية عارمة تصعد لأعلى نقطة ثم تهبط فجأة، وكذلك العرب حماستهم عاطفية لا عقلانية تدفعهم لثورة فياضة هائلة في لحظة معينة فإذا لم تتحقق النتائج التي يرغبون بها سريعا تهبط عزيمتهم إلى الصفر دفعة واحدة!

هكذا كتبوا والله وهكذا نجحوا في هزيمتنا من الداخل، فقد طبقوا هذا المبدأ حرفيا فيما يسمى بمفاوضات السلام وأغرقوا العرب في مفاوضات تلو مفاوضات وتركوا حماستنا لفلسطين وشعبها ثم للعراق واليمن وليبيا ولبنان ثم لغيرها تعلو حتى تبلغ القمة وانتظروا هادئين واثقين من النتيجة،

وبالفعل مرت الشهور والسنوات وانمحت من عقولنا كل الاهتمامات المنصبة على تلك القضايا ووجهنا حماستنا لغيرها كالعادة دون أن نظل متمسكين بأي قضية من أي نوع حتى النهاية!

وراجعوا معي لو أنكم نسيتم، هل نسيتم بدايات الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ٩٠ انتفاضة الحجارة التي هزت عرش شامير واسحاق رابين وقتها، ثم أحداث التطهير العرقي ضد مسلمي البوسنة والهرسك المشابه لأحداث بورما اليوم، هل يذكرها أحد،

ثم الانتفاضة الفلسطينية عام ٢٠٠١ واستشهاد الطفل الفلسطيني البطل محمد الدرة، هل تذكرونه، ثم مرحلة الكراهية لأمريكا أيام بوش الابن والتي تصور البعض منا أنها ستستمر وتجبر الأنظمة الموالية لأمريكا على إعلان براءتها منهم، هل تذكرونها، ثم قضية رسوم الدانمارك، واعتداءات فرنسا، ثم العراق ثم سوريا، هل تذكرون عندما ازدان الفيس بأعلام حلب الحمراء قبل بضعة أشهر و ... و. ... وهلم جرا

إذا أردنا فعلا أن ننصر أنفسنا فعالجوا أولا حالة الموت الإكلينيكي التي نعانى منها التي تجعلنا نمل ونمل من أي معرفة وأي قراءة وأي جهد مفيد، عالجوها أولا

عالجـوا التحـزب المقيـت والتعامـل مـع أنظمـة الحكـم بمنطـق تشـجيع أنديـة الكـرة

ثـم عالجـوا ذاكـرة الأسـماك الـتي نتميـز بهـا وأكملـوا الطريـق في أي قضيـة أيـا كانـت، وسـاعتها فقـط يمكـن أن ننصـر أنفسـنا وننصـر غيرنـا

مفهوم أهل السنة ومفهوم اقامة الشريعة

****

العلماء الكبار في تاريخنا لم يتركوا شيئا أصلا للمعالجة، فقد كتبوا وأفاضوا في هذه النقطة التي وقع فيها ـ لسنا نحن فقط العوام ـ بل وقعت فيها أجيال من العلماء أيضا

علمهم باذخ ومتسع، ومع هذا لم يكن الفهم مكافئا أبدا لهذا العلم صار حملا بلا حامل

ودخولا منى في الموضوع مباشرة لمن ليس له صبر على المصطلحات المعقدة، ولكي يفهم الإنسان منا معنى المسلم ومعنى السُنة ومن هم أهل السنة.

فالإسلام ببساطة شديدة ليس أيديولوجيا، وليس جماعة لها قيادات محددة يطاع أمرها، وليس حزبا، وليس منهجا بمسمى ـ أيا كان هذا المسمى ـ خارج نطاق الإسلام والسنة

وأهل السنة هم العوام ... الجماهير، أنا أنت ورجل الشارع العادي.

فمعيار الإدراك للحق سهل وبسيط وموجود في قلب الأحاديث النبوية أيضا فعندما تنهار الوحدة الإسلامية كان وصية النبي عليه السلام بهجر تلك الفرق كلها، أي فرقة اتخذت لنفسها اسما معينا أو لباسا محددا أو شكلا أو أي وسيلة تمييز مهما كانت فهي في عرف الدين فرقة ولو لم تتسمى بهذا

والشريعة الإسلامية التي يزعم البعض تطبيقها، والمناهج الصحيحة نصا ـ لا تطبيقا ـ لا تمنح العصمة لأصحابها بمجرد تطبيقها بل الأهم تحقيق المقاصد، وهذا ما نص عليه الأصوليون صراحة، فكل حكم لا يحقق مقصود ليس عندنا بشرع.

ما هو معنى هذا الكلام.

المعنى ببساطة لو أنك حزت في يدك ألف شهادة عالمية تشهد لك بأنك مهندس محترف فلن يكون هذا كافيا لصحة عملك بل ستكون العبرة بالتطبيق الواقعي على الأرض فإن فشلت في بناء مسكن متماسك فأنت لا تعرف عن الهندسة شيئا ولو كنت تحفظ مراجعها عن ظهر قلب ولو اجتزت فيها نظريا كل الاختبارات.

كذلك الشريعة.

العبرة بالمقاصد

فإن زعمت أنك دولة مسلمة مرجعيتها الشريعة تطبق نصوصها وحدودها، فلن يسلم لك بذلك إلا واقعك الفعلي.

والواقع الفعلي معناه أن تكون دولتك نبراسا للقانون والعدل، لا أن يتم تطبيق القانون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للعوام واستثناء الأمراء وأصحاب السطوة منه.

ومعناه أن تكون الدولة قوة عظمى في محيطها الإقليمي على الأقل، يحتاجها الناس ولا تحتاج إليهم، تشتهر بالعدل بين أقرانها فيتخذونها نموذجا.

وكذلك الإنسان في حياته العملية.

صلاتك وصيامك ولحيتك السابغة واعتقادك الراسخ بضلال عبدة القبور والأولياء لن يمنحك حصانة التوحيد بمفرده!

راجع واقعك فربما اكتشفت أنك وقعت في شرك يشابه شرك إبليس وأنت لا تدري

نعم ... إبليس وصفه القرآن بأنه من المشركين عليه لعنة الله

ولهذا يجوز هنا السؤال، كيف أشرك وبمن أشرك وقد كان إيمانه إيمان شهود لا إيمان غيب..

والجواب أنه أشرك نفسه

فأشد وأطم أنواع الشرك ليس أن تعبد صنما أو تتعلق بشخص في أمور يختص بها الله

بل أعظم الشرك ـــ عياذا بالله ـــ أن تقودك نفسك وهواك فتجعل لنفسك مكانة عليا عند ربك وتزكيها من أعماقك، وتحسب أن الدين صفقة طالما أديت الفرائض فليس لله إلا أن يكتبك في الموحدين!!،

فهذا هو ما فعله إبليس غرته عبادته فوضع نفسه فى مكانة سامقة عز عليه معها أن يأتي آدم فيزاحمه فيها

فليس هذا من التوحيد في شيء

فالأمر كله يجب أن يوكله الإنسان لخالقه، ويجب عليه الحذر أشد الحذر من غرور الطاعة الذي يدفع البعض لمعايرة الناس في أعماقه بأنه يقيم الشرع دونهم!

ولو أننا تأملنا واقعنا المضحك سنجد عجبا

فلدينا جماعات وملايين في مجتمعنا الإسلامي ولدينا دول أيضا يبلغ بها حد الورع إلى درجة الهوس في الصغائر.

وهم يعلنون بأنهم يقيمون الشرع في أنفسهم وبلدانهم

فحق لنا أن نتساءل إذا؟!

لو صدق هؤلاء فما بال المسلمين في ذيل الأمم اليوم!!

وأين هي ثمرة التوحيد والإخلاص المتجرد التي جعلها الله قرينا مباشرا للنهضة والإنجاز حتى بلا أسباب

والمتأمل في تاريخ الإسلام سيجد أن الدول التي قامت ونهضت عبر التاريخ لم تنهض ولم تنتصر أبدا بتوافر أسباب القوة، بل العكس دائما هو الصحيح، فكما بدأ الإسلام بوحي ونبي التف حوله الرعيل الأول فصاروا أعظم قوة في الأرض بدأت أيضا كل دولة قوية بمجموعة

محـدودة أو قبيلـة اجتمعـت عـلى الله وتفرقـت عليـه فأسـقطوا أسـاطير الـدول أمامهـم

وانظـروا تاريـخ العثمانييـن كيـف بـدأ، وتاريـخ المرابطيـن والموحديـن، وتجربـة صـلاح الديـن وقطـز وبيبـرس والحاجـب المنصـور

وانظروا إلى تاريخنا الحالي في مائة عام توافرت لنا أسباب القوة والثروة والعـدد إلى حـد لـم يبلغـه تاريخنا قط

وتوافـر لدينـا ممـن ينـادون بأنهـم أهـل الإخـلاص عـددا ربمـا يفـوق تعـداد دولـة الخلافـة قديمـا،

فأيـن نحـن الآن وإلى أي طريـق منحـدر نواظـب المـشي عليـه باسـتمرار مـن مطلـع القـرن العشـرين ليومنـا هـذا؟

نعم... العقل ضد العلم أحيانا!

****

في العادة عندما أنصح صديقا أو شخصا قريبا مني فإني أكتفي بالبيان لما أراه خطأ وفق جهدي المتواضع ثم أصمت، فإن اقتنع فبها ونعمت، وإلا فإنه سيعود يوما ما للحق، أو أرجع أنا عن رأيي لصواب لم أعرفه!

فالنصيحة ضد الجدال، لأن الجدال مخاصمة ومناظرة ولا ألجأ لها إلا مضطرا.

وقد لاحظت من خلال خبرة المناظرات مشكلة متكررة بشكل عجيب وقعت فيها أسماء كبيرة في الثقافة والفكر.

فهؤلاء جميعا تعاملوا مع (العقل) باعتباره شقيق (العلم)، أينما سار العلم فالعقل معه.

وغاب عن هؤلاء حقيقة علمية وعقلية ثابتة منذ فجر الفلسفة البشرية، وهي أن العقل نوعان لا نوعا واحدا:

العقل (المنطقي)، وهو العقل الذي يدرس الأمور ويخضعها للمنطق البشري، وغذاؤه الثقافة والفكر الحر.

والنوع الثاني وهو **العقل (التجريبي)**، وهو عقل العلماء الذين توصلوا لحقائق ثابتة بالتجربة واستخدام العقل في إتقان التجربة ثم انتظار نتيجة ما تقرره الطبيعة دون أن يكون لعقل العالم هنا أي دور في النتيجة بل دوره يقتصر على استيعابها وتقريرها كحقيقة ثابتة وفقط.

وبالتالي:

فالعلم ليس بالضرورة أن يتفق مع النتائج العقلية المحضة التي يتوقعها العقل بالمنطق البشري، بل أزعم أن العلم في الأغلب الأعم

ما يضرب الثوابت المنطقية للعقل البشري باستمرار، ومن هنا جاءت المقولة الفلسفية الشهيرة (العلم هو إهانة مستمرة للذكاء البشري)

ولنا أن نتخيل مدى كارثة مثقفينا ومفكرينا عندما يتدخلون للاعتراض على (المنطق العلمي) باستخدام (المنطق البشري).

ولكي نوضح الفارق بين العقل والعلم.

تعالوا لنرى واقعة حدثت قبل أعوام، عندما عانت مصر من شح المياه، وأزمة سد النهضة، خرج أستاذ جامعي مرموق لكنه غير متخصص وطرح في الفضائيات تساؤلا منطقيا عن سبب إهدار مصر لكميات هائلة من مياه النيل، ويقصد بها المياه التي يصبها النيل في البحر المتوسط عند نهاية فرعي دمياط ورشيد.

ودعا الدولة لعمل سدود عند المصب وتحويل مجرى النيل من البحر للصحراء الغربية والاستفادة منها في الزراعة والاستصلاح.

والفكرة من الناحية المنطقية فكرة عبقرية ومذهلة إذ أنها كفيلة بتحويل الصحراء لمزارع لانهائية، ولكن يا ترى ماذا كان رد العلم على هذه الفكرة؟!

ببساطة تدخل علماء المياه قبل أن تسخن أدمغة المسئولين فينفذوها، لأن العلم يقول بأن تنفيذ الفكرة لن يضيف للرقعة الزراعية بل هي كفيلة بخسارة مصر لنصف أراضيها الخصبة وتبويرها تماما لأن هذه الفكرة ستتسبب في إفساد أراضي الدلتا بالكامل.

ناهيك عن الكارثة البيئية المتمثلة في تآكل الشواطئ على الساحل كله تقريبا عندما تفترسها مياه البحر بلا رادع.

لأن مياه النيل التي تصب في البحر تمثل حاجزا وسدا طبيعيا أمام مياه البحر ـ فهما لا يختلطان ـ والمياه العذبة تدفع المياه المالحة بعيدا وتبعد خطر تأثيرها في نحر الشواطئ وتمليح التربة الخصبة حول فرعي النيل

فهل عرفنا الآن كارثة أن نتدخل بالعقل في ثوابت العلم؟!

وهـل علمنـا الآن أن حريـة الفكـر لا تعـني دخـول غيـر المتخصصيـن في مجـال تخصـص علمـي والادعـاء بأنهـم توصلـوا لابتـكارات مـا قـال بهـا واحد مـن أهـل الاختصـاص؟!

عن كورسات (القراءة السريعة) وخرافات أخرى!

****

من بين كل الإفتكاسات الجديدة التي نصادفها في عالم الإنترنت، توقف كثيرا أمام ما يسمى بكورسات (القراءة السريعة)!!

وملخص تلك الكورسات كما فهمت أنها تقوم بتدريب الشباب المقبل على القراءة على كيفية إنجاز قراءة كتاب واستيعابه في وقت محدود!

ومع كامل تقديري لبعض الأسماء الشهيرة التي تورطت في تلك الخرافة إلا أن هذا التدريب لا يمكن ينشئ قارئا أو مثقفا أو حتى بياع ترمس!

وأمثال هذه الكورسات هي شيء لصيق بالزمن الأمريكي الذي تحدث عنه كبار المثقفين ووصفه هيكل بأنه عصر السرعة المقيتة في كل شيء، فلا يمكن لإنسان أن ينكر أهمية تقليص الوقت لكن العته الحقيقي أن يكون الهدف الأساسي هو تقليص الوقت بغض النظر عن المنتج!

فربما يفيد في فكرة (خطوط الإنتاج) وربما يفيد في الصناعات، أما في مجال العلوم الاجتماعية فكارثة كبرى.

لكن الأمريكيين عمموها على كل شيء، وهذا ما عبر عنه المثقفون بأن الأمريكيين حطموا التقليد البريطانية الشهيرة فاستبدلوا (شاي الساعة الخامسة) بوجبات كنتاكي وماكدونالدز وغيرها

والقراءة أيها السادة شرطها التأني، فإن كانت للعلم والمدارسة أصبحت واجبة وجوب العلم نفسه، وعلى مدى حياتي كلها لم أقرأ ولم أسمع عن عالم كبير أو مثقف عملاق امتدحه أهل الثقافة بسرعة قراءته في المطلق!

بل العكس هو الصحيح.

فالكتب والمراجع لا تصلح معها سياسة الوجبات السريعة بالذات في الكتب ذات الطابع المتكامل في الفكر والأدب، لأنها الكتاب الواحد يكون كنزا معرفيا حقيقيا لا يمكن استيعابه من قراءة واحدة، ولهذا هناك من الكتب نوعية معينة يعود لها المرء بشكل دوري مستمر وفي كل مرة يكتشف جديدا ويكتسب مزيدا.

هذا في مجال الثقافة العامة.

أما إن كانت القراءة في مجال العلوم الاجتماعية للدراسة، فهنا تظهر أهمية التأني والإعادة والتركيز بأكثر مما تظهر في الثقافة.

وفي كل السير الذاتية للعمالقة والفلاسفة ستجد أنهم يقضون الساعات تلو الساعات في التأمل فقط، التأمل والتفكر فيما طالعوه وقرأوه، أي أن الكتاب الواحد عندهم يأخذ وقتا للقراءة ثم وقتا أكبر للدراسة العقلية في فكرته ومحتواه.

وتتبقى نقطة أخيرة تهدم فكرة كورسات القراءة السريعة، ألا وهي الفوارق الشخصية بين الأفراد، فسرعة الاستيعاب موهبة تتضاءل وتكبر حسب قدرات الشخص نفسه، ومن المستحيل تقنينها في تدريب أو محاولة التعسف في إكسابها لمن لا يمتلكها بشكل طبيعي

فربما نجحت في أن تكسبه سرعة القراءة نعم، لكن من المستحيل اكسابه سرعة الاستيعاب إلا إذا كان هذا راجعا لعامل الخبرة لسنوات طوال.

فمن الطبيعي أن ممارسة القراءة لسنوات طويلة ترفع مستوى الاستيعاب تدريجيا وبشكل طبيعي،

أما محاولة ميكنة هذه القدرات فهو نفس الخطأ الذي وقع فيه علماء الوراثة عندما أنتجوا ثمارا ضخمة الحجم من فواكه صغيرة الحجم لكن تلك الثمار الضخمة افتقدت مذاقها وفائدتها فأصبح طعم الفراولة كطعم الخيار تماما.

تم بحمد الله

المؤلف

محمد جاد الزغبي

شاعر ومفكر مصري

الإقامة / مصر ـــ القاهرة

الإيميل / gadelzoghaby@hotmail.com

هاتف / ٠١٢٧٤٧١٥٤٢١

* دبلوم تخصص في الشريعة الإسلامية من قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة عين شمس

* ماجستير الشريعة والقانون الخاص من كلية الحقوق ـ جامعة عين شمس

* له عدة سلاسل حلقات ثقافية على قنوات (صفا) و(الندى) وقناة (أحوازنا)

* كاتب رأى مستقل بعدد من الصحف المصرية والعربية

* مدير موقع وشبكة العز الثقافية السعودية، ورئيس تحرير مجلة (العز) التابعة للشبكة خلال الفترة من 2007 حتى 2011

* مستشار صحفي لمجلس إدارة شبكة منابر ثقافية

* أورد الناقد الأدبي الكبير الدكتور عبد السلام البسيوني سيرته الذاتية بفصل خاص من كتابه

(شعراء البردة النبوية عبر التاريخ)، واختار قصيدته المطولة (في معارضة البردة) وتم نشرها بالكتاب مع سيرة ذاتية مختصرة له

الكتب المطبوعة:

* التراتيل الأولى (مجموعة شعرية) صدر ت عن دار إشراقه للطبع والنشر عام 2000 م

بتقديم ودراسة الشاعر والناقد شوقي أبو ناجى وتمت مناقشته ضمن فعاليات دار الأدباء بالقاهرة برعاية الشاعر الإسلامي محمد التهامي. وكتب عنه عدد من النقاد الكبار بمصر مثل الأستاذ الدكتور بدراوي زهران ــ رحمه الله ـــ والشاعر مؤمن الهباء والناقد حزين عمر والدكتور فتحي عبد الفتاح والشاعر الوردان ناصف والشاعر شوقي أبو ناجى رحمه الله

* كيف ترد الشبهات بالحوار العقلي وحده ـــ دار يسطرون للنشر والتوزيع 2018

وصدر الكتاب في معرض الكتاب ـ يناير 2018 /، وهو كتاب حواري وبحثي مطول للرد على اتهامات وشبهات جماعات الإرهاب بأسلوب الحوار المبسط اعتمادا على منهج الفلسفة الإسلامية في رد الشبهات

* أحقا قد مضت عشرون عاما (مجموعة شعرية) ـــ صدر عام 2019 عن دار (نوستاليجيا) للنشر والتوزيع

* السطر الأخير في ملف أشرف مروان ـ صادر عن دار غراب للنشر والتوزيع ـ صدر في يناير 2019، وهو كتاب بحثي شامل لقضية البطل المصري الراحل أشرف مروان

* الفريضة السادسة (مقالات منوعة) ـ صدر عن دار (نوستاليجيا) للنشر والتوزيع عام 2019م

* الحضارة الفرعونية المفترى عليها (بحوث منوعة) ـــ صدر عن دار حواديت للنشر والتوزيع عام 2021 م

وهو كتاب يحتوي خمسة بحوث ثقافية تناقش عددا من القضايا

الجدلية في التاريخ الفرعوني والتاريخ الإسلامي

* حصان على رقعة الشطرنج (مقالات منوعة) ـ صدر عن دار الأدهم عام 2021

* الإلحاد أمام محكمة العقل ـ صدر عن مركز جداريات لمكافحة الإلحاد لعام 2021

* معلومات ثقافية خاطئة ومنتشرة ـــ عن دار حواديت للنشر والتوزيع عام 2022

تضم عددا من المعلومات الثقافية والتاريخية والدينية الخاطئة والمنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي مع التصحيح العلمي لها

* كيف تكون مثقفا ـ دار حواديت 2022

(يضم الكتاب شرحا لمفهوم الثقافة وأنواعها وكيفية اكتسابها مع ذكر أصح وأهم المصادر والكتب في مجالات الثقافة الدينية والتاريخية والأدبية والسياسية)

*إسلام بلا تنظيمات ـ دار حواديت للنشر والتوزيع ـ يناير 2022

* الخميني وإيران (دراسة في فكر الخميني وثورته الحمراء وآثارها على إيران والعالم العربي) ـ دار حواديت 2022

* فقه السنة في النجاة من أزمنة الفتن وأحداث آخر الزمان ـــ مركز تبصير لرد الشبهات ـــ يناير 2022

*استراحة على شاطئ المعرفة ـــ دار طفرة للنشر والتوزيع 2022

(كتاب يضم بحوثا ثقافية منوعة لمناقشة قضايا التاريخ الحديث والمعاصر والمعارف الدينية المغلوطة وتصحيحها)

* ما لم تُحط به خبرا (مقالات منوعة) ـ دار حواديت للنشر والتوزيع 2022

* كيف نربي أنفسنا فكريا ـــ تحت الطبع

(ويضم بحوثا علمية حول نظرية الفكر الإسلامي في آداب المناظرات والحوار وآداب تربية الأبناء وغيرها من الموضوعات)

* الإعجاز العلمي والعجز العلماني ـ تحت الطبع (كتاب عن فلسفة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية مع رد شبهات الإلحاد المنكرة لحقيقة وجود هذا الإعجاز)

* الصراع حول حرب أكتوبر ـ تحت الطبع

كتاب عن حرب أكتوبر بتحليل وتوثيق ونظرة جديدة فيه رد على كافة الاتهامات التي تم توجيهها للحرب للتقليل من شأنها، وقد تم نشر الكتاب كبحث مستقل في (شبكة الدفاع العربي) ومواقع الإنترنت تحت عنوان (حدائق الإيمان في حرب رمضان) قبل أن يتم تجهيزه ككتاب تحت الطبع حاليا

* الخريف الثاني

(قصة الثورة المصرية من خريف الغضب عام 1981م وحتى خريف الغضب الثاني 2011) تحت الطبع

* أولياء بلا مريدين ـ تحت الطبع

(وهو كتاب يضم عددا من الشخصيات المصرية في مجال الفكر ومجال البطولات العسكرية ويسلط الكتاب الضوء على عطائهم وتجاربهم)

كتب إلكترونيه صدرت عن وكالة العز للنشر الإلكتروني وتم نشرها في المواقع والمكتبات الإسلامية

* شرح تلبيس إبليس لابن الجوزي ـ الجزء الأول (شرح تلبيس إبليس على المعتزلة والشيعة)

* الخميني ـــ كبيرهم الذي علمهم السحر ـ قراءة جديدة في فكر الزعيم الشيعي الخميني

* المناظرة الكبرى مع الشيعة الاثنا عشرية

(مناظرة مكتوبة استمرت شهرا كاملا بين الكاتب وأحد باحثي الشيعة في قضية الإمامة)

* يالثارات الحسين (بحوث في العقيدة الشيعية وموقفها من أهل السنة)

* السيدة عائشة ـــ نورانية العفاف وقرآنية الإنصاف

* ستون سؤالا بستين قضية (كتاب حواري به ستون سؤالا بحثيا مع الإجابة المفصلة عليهم)

* سفراء جهنم (الحقيقة وراء المرجعيات الشيعية المعاصرة) ـ الجزء الأول

* فن الإشراف وإدارة المنتديات الثقافية (دراسة من ثلاثة فصول بحثية تعد هي الأولى من نوعها في هذا المجال خاصة بمعالجة سائر ما يتعلق بتنظيم المنتديات الثقافية على الإنترنت فنيا وإداريا تم اتخاذها كأساس للهيكلة الإدارية لعدد من منتديات الشبكة العنكبوتية)

* تعلم كيف تكون مثقفا ـــ بحوث ثقافية متنوعة تضمها سلسلة (تعلم كيف ...؟) وهي سلسلة شهيرة للكاتب على شبكة الإنترنت وتضم 12 بحثا يعالج مختلف المشارب الثقافية والفكرية

بحوث منشورة بالإنترنت ويتم إعدادها للنشر

* المخابرات المصرية ــ قصة معجزة على النيل (دراسة مسلسلة تشرح تاريخ جهاز المخابرات المصري ودوره في حماية الأمن القومي العربي من مصادر معتمدة وذكر سائر المعلومات الحقيقية الصريحة المتاحة لمن تولوا إدارة الجهاز وأشهر ضباطه وأشهر عملياتهم)

*سفراء جهنم ـ الجزء الثاني (يسلط الضوء على تاريخ جماعة الإخوان وابتكارهم لجماعات الإرهاب المتطرف وعلاقتهم التاريخية بالشيعة وفرقهم خلال بدايات القرن العشرين وحتى سقوط حكمهم في مصر)

* شرح تلبيس إبليس لابن الجوزي ـ الجزء الثاني

* فبُهت الذي كفر

(كتاب يضم مناظرات منوعة للكاتب مع الجانب الشيعي وفكر الإلحاد في قضايا العقيدة)

* نظرات في التاريخ السياسي لقضية الأقصى

(كتاب يؤسس لقراءة جديدة في القضية الفلسطينية سياسيا وتاريخيا منذ أواخر عهد الدولة العثمانية وحتى بدايات القرن الحادي والعشرين)

* قصة قصيدة

(وهو كتاب يشرح عددا من الأحداث التاريخية من خلال شرح بعض القصائد السياسية الشهيرة لكبار الشعراء في القديم والحديث)

* قرأت لك

(كتاب يضم شرحا وتعليقا على أهم الكتب والمراجع في مجال الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والمعاصر، وأيضا أبرز كتب الآداب والفكر العربية)

* الصـراع السـياسي والثقـافي بيـن مصـر وإيـران في الفتـرة مـن (1960 م ـ 2008)

وهـو كتـاب يـؤرخ لموضـوع لـم تتطـرق إليـه البحـوث كثيـرا ويعالـج الصدامـات السياسـية والثقافيـة بيـن مصـر والسياسـة الإيرانيـة منـذ عهـد عبـد الناصـر وحـتى الوقـت الحـالي (تحـت الإعـداد)